دار الكتب المصرية
القسم الأدبى

الخصائص

صنعة
أبى الفتح عثمان بن جنى

بتحقيق
محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الأول

المكتبة العلمية

الخصائص

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

كتاب الخصائص أو خصائص العربية لأبى الفتح عثمان بن جنى، من الكتب اللغوية القيمة التى أقر المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية طبعها سنة ١٩١٣ م ضمن مشروع إحياء الآداب العربية .

وقد سبق للدار أن قامت بطبع الجزء الأول منه ونشره بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) . وعلى الرغم من أن الكتاب لم ينشر فى ذلك الحين كاملا ، ولم ينل ما يستأهله من التحقيق فقد كان له أثر محمود عند جمهور العلماء والأدباء والباحثين والمشتغلين باللغة العربية وفقهها ، والمعنيين بأصول اللغات وعقد الصلات فيما بينها ؛ بل إنه فتح آفاقا جديدة للبحث ، وأنشأ فصولا طريفة تداولها الباحثون بالتمحيص والتوليد والدرس، ووقف الناس من ابن جنى على عالم منقطع القرين .

ولعدم توافر النسخ الكاملة الصحيحة وقف العمل فى الكتاب عند هذا الحد زمانا ، وأخذ القرّاء من مختلف الأصقاع وشتى الأقطار يتوقون لقراءة بقية الكتاب ، ويلحون على الدار أن تمضى فى نشر بقية الأجزاء . ومع مضى الزمن وتوالى الأيام أمكن الدار أن تحصل على نسخ صحيحة كاملة ، وأن يتهيأ لها نشر بقية الكتاب .

وحينما علمت الدار أن الأستاذ العالم الثقة الشيخ محمد على النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية يقوم بدراسة هذا الكتاب من زمن طويل، وأنه معنىّ بالعمل فيه رأت أن تعهد إليه فى إعادة تحقيق الجزء الأول تحقيقا علميا على النحو الحديث، وإتمام تحقيق بقية الكتاب، ووضعت بين يديه النسخ المختلفة التى بالدار، واستحضرت ما أمكن الحصول عليه من المكتبات الأخرى، ويسرت له المراجع التى يحتاج إليها، فقام بهذه المهمة خير قيام، بما عهد فيه من صبر وأمانة ودقة، وهذا فوق تخصصه فى هذا الشأن.

وقد قدّم للكتاب بدراسة وافية عن ابن جنى وحياته وعصره وكتبه، وتحدّث عن كتاب الخصائص وقيمته ومنزلته، ووصف النسخ التى استعان بها فى إخراج هذا الجزء وصفا علميا مفصلا.

وبعد، فهذا هو الجزء الأول من الطبعة الثانية من كتاب الخصائص تقدّمه الدار للعلماء والأدباء والباحثين على منهج علمى مفيد، وهو جزء من ثلاثة أجزاء، تلحق به الفهارس العامة، ومراجع البحث والتحقيق، وسننشر إن شاء الله بقية الأجزاء فى وقت قريب.

وعسى أن تكون الدار بما قامت به من نشر هذا الكتاب الجليل، على هذا النحو من التحقيق وتحرير النص وحسن العرض، قد قامت بجزء من رسالتها الجليلة فى نشر الثقافة العلمية، وبعث التراث العربى النفيس.

ومن الله العون والتيسير.

محمد أبو الفضل ابراهيم
مدير القسم الأدبى بدار الكتب المصرية

٣ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ
٢٤ من أغسطس سنة ١٩٥٢ م

مقدمة

نسب ابن جنّى

هو عثمان بن جنى ؛ ولا يعرف من نسبه مَن وراء هذا ، وذلكُ أنه غير عربى ، وكان أبوه جنّى روميّا يونانيّا ، وكان مملوكا لسليمان بن فَهْد بن أحمد الأزْدى . ومن ثَمّ ينتسب ابن جنّى أزديًا بالولاء ، فيقول فى آخر المُنْصِف شرح تصريف المازنى : « قال أبو الفتح عثمان بن جنّى الأزْدى ... » . ولا تذكر لنا المراجع التى بأيدينا شيئا عن أبيه أين كان قبل أن يَقْدَم المَوْصِل إن كان هاجر إليها ولم يكن وُلد فيها ، ولا ماذا كان يعمل لمولاه .

أمّا سليمان بن فَهْد مولى أبيه، فلا تُفصح المراجع عن أمره ومكانته فى المَوْصِل. وقد ظَلِلت حينا من الدهر على ظنّ أنه كان من قُطّان الموصل[1] ، فقد كان الأزْد من أوائل مَن سكنها بعد فتحها فى سنة ٢٠ للهجرة ، حتى وقفت فى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٤١١ على مقتل سليمان بن فهد . وقد ذكر ابن الأثير من أمره أنه كان يكتب فى حداثته بين يدى أبى إسحاق الصابى — كانت وفاة الصابى سنة ٣٨٤ — ، وأنه انتقل إلى الموصل فاقتنى بها ضياعا ، ونظر فيها لقِرْواش أمير بنى عُقَيل — وهو معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد أحد أمراء العقيليين

(١) تاريخ الموصل للقس سليمان صائغ ١/٥١ .

ولى الموصل سنة ٣٩١ إلى سنة ٤٤٢ (زامباور ٥٩) ، — ثم غضب عليه قِرْوَاش فقتله . ويبدو من هذا أنه كان فى بغداد عند الصابى ، ثم انتقل إلى الموصل .

و إذا كان سليمان هذا بقى إلى سنة ٤١١ ، فقد عُمِّر وتنفّس به الزمن؛ فقد حيى بعد ابن جنى الذى توفى سنة ٣٩٢، و بعد أبيه فيما يبدو . ولا أكتم فى هذا المقام شكّا يخامرنى فى الأمر ؛ أفلا يحتمل أن سليمان بن فهد الذى قتله قِرواش سنة ٤١١ غير مولى جنى والد أبى الفتح ! ونرى ابن الأثير يقتصر فى تحليته على « الموصلىّ » ولا يحلّيه بالأزدىّ الذى يحرص الرواة عليه فى مولى جنّى .

على أن مما يرجّح أن سليمان بن فهد صاحب قِرواش هو مولى جِنّى أن ابن الزمكدم[1] الذى هجا[2] ابن جنى ، هجا سليمان صاحب قِرواش فى شعر بديع ، يدخل فى باب الاستطراد، وهاكه :

وليـــلٍ كوجه البرقَعيدىّ ظلمـــةً ... وبَرْدِ أغانيـــه وطولِ قُـــرونه
سَرَيت ونومى عن جفونى مشرَّد ... كعقل سـليمان بن فهد ودينـــه
على أولقٍ فيـه التفات كأنه ... أبو جابر فى خَبْطه وجـنونه[3]
إلى أن بدا ضـــوءُ الصباح كأنه ... سَــنَا وجهِ قِرْواش وضوءُ جَبينه

---

(١) هكذا بالكاف فى كامل ابن الأثير والمختصر لأبى الفداء فى حوادث سنة ٤١١ . وفى نسخ معجم الأدباء : « الزملدم » ، ولم أقف له على ترجمة .

(٢) انظر معجم الأدباء فى آخر ترجمة أبى الفتح .

(٣) الأولق فى الأصل : الجنون ، يريد به فرسا ذا أولق من النشاط . وقوله : « فيه التفات » يروى : « فيه هباب » . والهباب ، بكسر الهاء : النشاط .

ويقول ابن الأثير في المثل السائر[1] : « وهذه الأبيات لها حكاية . وذلك أن شرف الدولة قرواشا ملك العرب ، وكان صاحب الموصل . فاتفق أن كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء ، وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر . وكان البَرْقَعِيديّ مغنّيا ، وسليمان بن فَهْد وزيرا ، وأبو جابر حاجبا . فالتمس شرف الدولة من هـذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه ، فذكر هذه الأبيـات ارتجالا . وهي غريبة في بابها ، لم يسمع بمثلها » .

ولم أر لابن جنّي في مصنفاته ذكرا لمولى أبيه .

وكأنما كان ابن جنّي يحسّ ضعة عند النـاس أن لم يكن من أصل عربيّ ، فعُنِي أن ينضح عن نفسه ، ويذكر أن عنده ما يعوضه هذا النقص ، ويأخذ بضَبْعه نحو المعالي وباسقات الشرف . وذلك إذ يقول من قصيدة طويلة :

فإن أصـبح بلا نسبٍ ... فعلمي في الورى نسـبي
عـلى أني أءول إلى ... قُـرُوم سـادة نُجُب
قيـاصرة إذا نطَقـوا ... أَرَمَّ الدهرُ ذو الخُطَب[2]

---

(١) « النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتصاب » . وانظر الكامل لابن الأثير في حوادث سنة ٤١١ ، والصبح المنبي ٢٥٥ . وقد نسب هـذه الأبيات صاحب الفـوات في ترجمة قرواش إلى الطاهر الجزريّ . وكذلك صاحب الوافي بالوفيات .

(٢) أرم : سكت . و « ذو الخطب » أي المنطيق بأفعاله وآثاره ، فالخطب بضم ففتح جمع الخطبة . ويقرؤها ابن مكتوم « الخطب » بضمتين ، ويرى أن أصلها الخطوب ، فحذف الواو للضرورة . وهذا كما ورد في شعر الأخطل :

كلمع أيدي مثاكيل مسـلبة ... يندبن ضرس بنات الدهر والخطب

وانظر ص ٣٣٣ من هذا الجزء . ولكن هذا الوجه بعيد في بيت ابن جني ، والأقرب ما ذكرت .

أولاك دعا النبيُّ لهـــم ـــــ كفى شرفا دعاءُ نبي [1]

ويتردّد الباحث فيما يعنى ابنُ جنيّ فى انتسابه إلى القياصرة. فهل يعنى أنه من الروم هذا الجيل من الناس الذين منهم القياصرة. أم أنه كان من سلالة القياصرة.

وجنّى علم رومىّ، ويذكرون أنه معرب كِنّى [2]. ويقول ابن ماكولا فى كتابه فى المؤتلف والمختلف : « وحكى لى إسمعيل بن المؤمّل [3] أن أبا الفتح كان يذكر أن أباه كان فاضلا، بالروميّة » وظاهرٌ أن ابن جنى يريد تفسير اسم أبيه جنى الرومىّ، وأن معناه فى العربيـة : فاضل . وجـنى تكتب بالحروف اللاتينية ممثـلة للفظ اليونانىّ gennaius، ومعناها : كريم، نبيل، جيّد التفكير، عبقرىّ، مخلص. ومن هذا يبدو صدق تفسير ابن جنّى لاسم أبيه.

وجنى، بكسر الجـيم وكسر النون مشدّدة وسكون الياء، فلا تشدّد الياء كياء النسب ؛ إذ ليست بها . وفى حاشية الشمنّى على المغنى بعـد أن أورد ترجمة ابن جِنّى : « وفى الشرح فى غير هـذا الموضع : هو بإسكان اليـاء، وليس منسوبا، وإنمـا هو معرب كنى . كذا فى شرح المفصّل للاسفندارىّ [4] » وهـو يريد بالشرح

(١) روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام . فأما كسرى فقد مزق الكتاب لما قرأه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه . فلما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى كسرى : مزق الله ملكه . وفى شأن قيصر : ثبت الله ملكه . وانظر فتح البارى طبعة الخشاب ١ / ٣٤ .

(٢) هو كتاب « الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب » وهو مخطوط فى دار الكتب فى فن المصطلح .

(٣) له ترجمة فى البغية ١٩٨، وكانت وفاته سنة ٤٤٨ .

(٤) يسمى هذا الشرح المقتبس فى توضيح ما التبس . وصاحبه الشيخ أبو عامر على بن عمر المدعو بالفخر الإسفندرى — وهكذا رسم فى كشف الظنون — المتوفى سنة ٦٩٨ .

شرح الدماميني للمغنى . و إعراب جنى على الحكاية لحالهـا فى العجمية ، فلا تعامل فى الإعراب معاملة الكلمات العربيــة . وذلك أنها لو ذُهب بها هــذا المذهب فعوملت معاملة المنقوص لقيل : ابن جنٍّ فتضيــع صورة العَــلَم ، و يلتبس الأمر بالجنّ ، فمن ثم أبقيت كما هى حفاظا على صورتها .

وقد جاء من الأعلام على نســق جِنّى حِنّى . و يقول ابن ما كولا فى كتابه : « وأما حنّى — بكسر الحاء المهملة وتشديد النون الممالة — فهو أبو الحسن علىّ ابن أبى بكر بن أحمد بن علىّ بن يحيى البيّع البغدادىّ ، يعرف بابن حنى . حدّث عن ابن رزقويه » ، وذكر أن مولده فى سنة ست وثمــانين وثلاثمــائة . وقد ذكر صاحب القاموس فى (حنن) هذا الاسم ، وذكر أيضا آخر يعرف بابن حنى .

هذا . وأذكر فى ختام هذا الحديث رجلا يدنو من ابن جنّى فى مذهبه اللغوىّ والأدبىّ ، وتهذيب عبارته وحسن ترتيبه ، يشاركه فى بعض صــفاته . ذلك هو ابن رشيق صاحب العمدة . فقــد كان أبوه مملوكا روميًّا من موالى الأزْد . وهــو لا يبعد عن عصر ابن جنى . فقــد ولد فى ســنة ٣٩٠ وتوفّى ســنة ٤٦٣ كما فى ابن خلكان .

مـــولده

ولد ابن جنى فى المَوْصل . ويقول من ترجم له : إنه ولد قبــل الثلاثين والثلاثمــائة من الهجرة ، ولا يعينون مولده بعــد هذا . إلا أبا الفداء فى المختصر، فهو يذكر أن وفاته ســنة ٣٠٢ ، ويقــول ابن قاضى شُهْبة فى طبقات النحاة : إنه تُوفِّى وهو فى سنّ السبعين . فإذا أُخذ بهذا وروعى أن وفاته كانت فى سنة ٣٩٢ فإن ولادته تكون فى سنة ٣٢٢ أو سنة ٣٢١ .

ويذكر الرواة أنه صحب أبا على الفارسي أستاذه أربعين سنة بعد اتصاله به على أثر حادثة مسجد الموصل — وستأتى قصّتها — وكانت هذه الحادثة سنة ٣٣٧، فإذا وضع تاريخ ولادته فى سنة ٣٢٢ كانت سنه عندئذ خمس عشرة سنة . وتروى القصة أن أبا على مرّ عليه وهو يدرّس العربيّة ، ومن القليل أن يتعرض المرء للتدريس فى هذه السن المبكّرة . وهذا قد يرجح رواية أبى الفداء فى تاريخ ولادته . وقول ابن قاضى شهبة إنه توفى فى سن السبعين، قد يكون (السبعون) فيه محرّفة عن التسعين . ويرى بعض الكاتبين عنه من علماء المشرقيات[1] أن ولادته كانت سنة ٣٢٠ ، وهذا قريب مما ذكرت . وبعض[2] هؤلاء جعل مولده سنة ٣٠٠ ، وهذا قريب مما جاء فى أبى الفداء .

نشأته

نشأ ابن جنّى بالموصل ، وتلقى مبادئ التعلم فيها .

وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلى الشافعيّ المعروف بالأخفش . ولم أقف على أحد من شيوخه فى الموصل سوى هذا الرجل ، ولا تذكر المراجع تاريخ وفاته ، ولم أجد له ذكرا فى طبقات الشافعية . ولست أدرى أُلقّب الأخفش لخفش فى عينه، أم لشهرته بالنحو فقيل له الأخفش، كأنه الأخفش المشهور به، وهو سَعيد بن مَسْعدة .

---

(١) مقال دائرة المعارف الاسلامية فى ترجمة ابن جنى .

(٢) انظر بركلمان وتاريخ الموصل ٢/٦٣ .

والنحو فى الموصل قديم ، بثّـه فيها مَسلمة بن عبد الله الفهرىّ [1] . أخذ النحو عن خاله عبـد الله بن أبى إسحق الحضرمىّ . وكان فى آخر عمـره مؤدّبا لجعفر بن أبى جعفر المنصور ، ومضى معه إلى الموصل فأقام بها .

ويذكر ابن خلّكان أنه قرأ الأدب فى صِباه على أبى علىّ الفارسىّ؛ ولم يذكر أين كان ذلك . والمعروف عن أبى علىّ أنه دخل بغـداد سنة ٣٠٧ ، فهـل أخذ عنه فى بغـداد إذا صحّ ما رواه ابن خلكان . ويقـول ابن ماكولا : «سمع جماعة من المواصلة والبغداديين » ، والمواصلة [2] أهل الموصل والواحد موصلىّ . وظاهر الأمر أن ذلك كان فى صِباه . وسـيأتى الكلام على هـذا فى الحديث عن صلته بأستاذه أبى علىّ .

بعض صفاته الخِلْقيّة والخُلُقيّة

لم تقفنا المصادر على خَلْقه وسِمـاته الجسمية . فهـل كان طُوّالا أو قصيرا ، أو ربعة ، وهل كان بدينا ، أو كان ضَرْبا [3] من الرجال ؟ وهل كان أبيض ؟ وهذا ما يغلب على الظنّ أن يكون عليـه ابن جنّى ، أن كان أبوه روميّا ، وإن كان الغالب على المَواصِلة [4] سمرة اللون .

وقد كان أعور . ويقول المترجمون له : إنه كان ممتّعا بإحدى عينيه فى الكناية عن عَوَره . وكأن هذه الكناية من باب التوجيه البديعى ؛ فإن إحدى العينين الممتع بها الأعور يجوز أن تكون المبصرة ، يتمتع بالإبصار بها والاهتداء

(١) البغية ٣٩١ .
(٢) ورد هذا الجمع فى تاريخ بغداد ٣١٢/١٢ .
(٣) هو الخفيف اللحم .
(٤) تاريخ الموصل ٣٣٤/١ .

بنورها ، ويجوز أن تكون الذاهبة ، فالأعور ممتّع بثواب الصبر عليها ، والأجر على فقدها .

وقد ترجم له الصلاح الصَّفَدىّ فى كتابه «الشعور بالعُور» . ويقول صاحب مسالك الأبصار[1] : «وناهيك به من أعور عينه نضاخة ، وأرضه مما تنبت سوّاخة» . وقد نبزه بشر بن هرون بالعور فى قصة سيأتى إيرادها ، وذلك حيث يقول :

العُرّ والعار فيك تمًّا والعَوَر التامُ والعوار

— وقوله التام أصله التام بالتشديد ، نخففه للضرورة —

ومما ينبئ عن عَوَره قوله فى التشوّق لصديق له :

صدودك عنى — ولا ذنب لى — دليل على نية فاسده
فقد — وحياتك — مما بكيت خشيت على عينىَ الواحدهْ
ولولا مخافة ألّا أراك لما كان فى تركها فائدهْ

ويقول ابن خلّكان : « وقيل : إن هذه الأبيات لأبى منصور الديلمىّ » . ولا ينبغى أن يفهم من الشكّ فى نسبة هذا الشعر إليه الشكّ فى عوره ، كما ذهب بعض الكاتبين لحياته[2] ، فليس مَرَدّ عوره إلى هذا الشعر ، إذ هو معدود فى العُور ، قال هذا الشعر أو لم يقله . ولا تقفنا المصادر على تاريخ عوره . فهل أصيب به فى حداثته ، أو أصابه وقد علته كبرة ؟

---

(١) ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٢) انظر المقال الممتع للأستاذ عبد الله أمين فى المقتطف (الجزء الثالث من المجلد الحادى عشر بعد المائة) .

وكان من عادته فى الحديث — فيما زعم بعض من يتحدّث عنه — أن يميل بشفتيه و يشير بيديه ، وقد كان هذا موضع تندّر من بعض الكُتّاب فى ديوان آل بويه فى بغداد بأبى الفتح . فقد أبصره وهو يتحدّث و يفعل ما تعوّده مما ذكرت ، فأتأر[1] فيه الكاتبُ النظرَ ، فسأله أبو الفتح فى ذلك فقال : « شُبِّهتُ مولاى الشيخ وهو يتحدّث و يقول بيوزه كذا وكذا بقرد رأيته اليوم عند صعودى إلى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاى الشيخ . فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين ، أعزك الله ! ومتى رأيتنى أمزَح فتمزحَ معى ، أو أمجُنُ فتمجنَ بى ! فلمّا رآه أبو الحسين قد حَرِد واستشاط وغضب قال : المعذرة أيها الشيخ إليك و إلى الله تعالى عن أن أشبِّهك بالقِرْد ، و إنما شبَّهت القِرد بك . فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ! وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع ، فكان يتحدّث بها هو دائما[2] » .

و يبدو أن مردّ هذه العادة عند ابن جنى — إذا صحّ إسنادها إليه — ما فى خُلُقه وسجيَّته ، من توكيد المعنى فى نفس السامع وتسديده ، وهذا أمر بادٍ فى كتبه . فهو يميل دائما إلى الإطناب والتكرار والتوسل إلى الإقناع بكل ما فى وسعه . ولا ريب أن الإشارة باليد أو الفم من هذه الوسائل النافعة . وكذلك سائر أحوال المتكلم من طلاقة وجه ، أو انقباضه وما جرى هذا المجرى ، كلّ ذلك يوضح المعنى ويبين عنه . وقد أدرك هذا ابن جنى وأفاض فيه فى الخصائص ، وقال بعد كلام فى هذا المعنى : « وعلى ذلك قالوا : رب إشارة أبلغ من عبارة[3] » . وقد يجوز أن ابن جنى

---

(١) يقال أتأر إليه النظر ، أحدّه . (٢) ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى الفتح .

(٣) انظر الخصائص ١/٢٤٧ .

كان فى لسانه لُكْنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه ، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة .

وكان ابن جنّى رجل جدّ وامرأ صدق فى قوله وفعله . فلم يؤثر عنه ما أُثِر عن أمثاله من رجال الأدب فى عصره من اللهو والشرب والمجون وما جرى فى هذا المذهب . وكان عفّ اللسان والقلم ، يتجنّب الألفاظ المُنْدِية للجبين ، والعُور من الكلم فى تصنيفاته . وقد يكون مردّ هذا إلى أنه اشتغل بالتعليم والتدريس ، ولم يكن ممن همّه وسَدَمه منادمة الملوك وإرضاؤهم كأبى الفرج الأصبهانى وأضرابه . وانظر إلى قوله لأبى الحسين فى الحديث السابق : « ومتى رأيتنى أمزح فتمزح معى، أو أمجن فتمجن بى ! » . ولقد بلغ من أمره أن يغير فى الشعر ما يستهجن ويقبح ذكره ، ففى بعض كتبه ينشد البيت :

أجَنْدَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ إذا ما الفَعْل فى آست أبيك غابا

والفَعْل محوّل عن الأير ، وقد تعمّد ذلك لينجو من مَعَرّة هذا اللفظ ، ولو تهيّأ له أن ينجو من الاست لفعل .

من أخَذ عنه من العلماء والأعراب

قلت فيما سلف : إن ابن جنّى أخذ النحو فى شبيبته عن أحمد بن محمد الموصلى . وقد أخذ فيما بعد عن أبى علىّ فأكثر الأخذ عنه . وهو الذى أحسن تخريجه ونهج له البحث، وفتق له سبل الاستقصاء والتوسع فى التفكير . وسيأتى مزيد لهذا .

وقد أخذ عن كثير من رُواة اللغة والأدب . ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مِقْسَم ، وهو من القُرّاء ، وكان راوية ثعلب . ووفاته

سنة ٣٥٤ ، أو سنة ٣٥٥ . ويروى ابن جنّى عنه أخبار ثعلب وعلمه . ويتردّد ذكره فى كتبه[1] . ويروى[2] أيضا عن أبى الفرج الأصبهانى صاحب الكتاب الخالد : "الأغانى" وكانت وفاته سنة ٣٥٦ . ويبدو أنه روَى عن هذين الرجلين فى بغداد . وكذلك يَروى عن أبى بكر محمد[3] بن هرون الرُويانىّ عن أبى حاتم السجستانىّ ، وهذا روَى عنه فى بغداد أو فى الموصل ، فقد كان فى بغداد وانتقل إلى الموصل ، ومات بها سنة ٣٥٨ . وممن يروى عنه محمد[4] بن سَلَمة[5] عن أبى العباس المبرد .

وابن جنّى يروى كثيرا عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم . وقد اتّبع فى ذلك سَلَفه من اللغويّين . وكان لا يأخذ عن بدوىّ إلا بعد أن يمتحنه ويتثبّت من أمره وصدق نَحيزته . وقد عقد لهذا بابا فى الخصائص : «باب فى ترك الأخذ عن أهل المَدَر كما أخذ عن أهل الوَبَر» .

ومن الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم أبو عبد[6] الله محمد بن العسّاف العُقَيلىّ التميمىّ . ولقد[7] يذكره باسم أبى عبد الله الشجرىّ . ومن قوله فيه : «وعلى[8] نحو ذلك

(١) انظر من أمثلة هذا ص ٣٨ ح ١ من الخصائص .

(٢) انظر المبهج وسر الصناعة فى حرف الهمزة وفى حرف السين .

(٣) انظر الخصائص ١/٧٥ .

(٤) تاريخ بغداد ١٤/٦ وما بعدها .

(٥) الخصائص (باب إصلاح اللفظ) .

(٦) انظر الخصائص ١/٧٦، ٧٨، ٢٤٠، ٢٥٠ .

(٧) فى تعليقات الخصائص ١/٢٥٠ أبديت شكا فى هذا ؛ إذ كنت لم أقف على النص الآتى عن ابن جنىّ .

(٨) معجم الأدباء فى ترجمة ابن جنى .

فحضرنى قديما بالموصل أعرابى عُقَيلىّ جُوثى تميمى يقال له محمد بن العسّاف الشَّجَرىّ . وقلّما رأيت بدويّا أفصح منه » .

وفى اللسان (وفى) حديث له عن أبى الوفاء الأعرابىّ .

ويظهر أنه كانت له رِحلة فى طلب العلم وتلقّ الروايات عن الشيوخ . ويقول فى إجازة له أثبتها ياقوت فى ترجمته : « وما صحّ عنده — أيده الله — من جميع رواياتى مما سمعته من شيوخى — رحمهم الله — وقرأته عليهم بالعراق ، والمَوْصِل ، والشأم ، وغير هذه من البلاد التى أتيتها وأقمت بها » .

ومن رواياته ما ذكره فى « باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور » من الخصائص : « أخبرنا أبو صالح السَّليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ، قال : حدّثنا أبو عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدى ، قال : حدّثنا الخليل بن أَسَد النُّوشَجانىّ ، قال : حدّثنى محمد بن يزيد بن ربان ، قال : أخبرنى رجل عن حماد الراوية ، قال : أمر النعمان ، فنسخت له أشعار العرب فى الطُّنُوج — قال : وهى الكراريس — ثم دفنها فى قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبى عُبَيد قيل له : إن تحت القصر كنزا ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار . فمن ثَمّ أهلُ الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة » وقد نَقَل هذا الخبر عن ابن جنّى صاحب اللسان فى (طنج) ، وكأنه لم يقف عليه فى غير رواية ابن جنى .

صحبته لأستاذه أبى علىّ

توثّقت الصِّلات بين أبى الفتح وأستاذه أبى علىّ الفارسىّ الحسن بن أحمد ابن عبد الغفّار بأوثق الأسباب وأمتن العُرَا . وكان ابن جنّى يظهر من التعلق به والتقبل لرأيه والانتفاع بعلمه أحسن ما يُظهر تلميذ لأستاذه ، وهو لا يفتأ فى كتبه

يذكر أبا علىّ وعلمه، و يرجع علمه وزكانته إلى فضل أستاذه، و يبجح بالانتساب إليه والتشبُّث بأسبابه .

و يذكر الرواة فى بدء اتصاله بأستاذه أن أبا الفتح ، وهو شابّ كان يدرّس العربيّة فى جامع الموصل ، فمرّ به أبو علىّ (١) ، فوجده يتكلم فى مسألة قلب الواو ألفا فى نحو قال وقام ، فاعترض عليه أبو علىّ ، فوجده مقصّرا ، ونبّهه على الصواب ، وقال له : تزبّبت وأنت حِصْرِم ! فتبع أبا علىّ ، حتى نبغ بسبب صحبته إياه ، و بلغ من أمره ما بلغ . وكأن خطاه أمام أستاذه فى مسألة قلب الواو ألفا كان سببا فى عنايته بها ، وإكثاره من القول فيها . وتراه فى الخصائص يعرض لها فى أكثر من موضع ، ومن ذلك ما جاء فى ص ١٤٥ ج ١ إلى ص ١٥٣ ، و إن كان الكلام كان أيضا فى قلب الياء ألفا ، وهما من واد واحد .

وتكاد الروايات تتفق على أن ابن جنّى لم يكن يعرف أبا علىّ قبل هذه الحادثة . وفى ياقوت بعد أن ذكر سؤال أبى علىّ له فى مسألة التصريف متحدّثا عن ابن جنّى : « فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علىّ الفارسى » وفى هذا بيان أىُّ بيانٍ أنه لم يلقه قبل هذا . ولم يشذّ عن هذا — فيما علمت — إلا ابن خلكان ، فهو يقول : « قرأ الأدب على الشيخ أبى علىّ الفارسىّ المقدّم ذكره فى حرف الحاء وفارقه . وقعد للإقراء بالموصل ، فاجتاز بها شيخه أبو علىّ ، فرآه فى حلْقته والناس حوله يشتغلون عليه ، فقال له : تزبّبت وأنت حِصرِم ! فترك حلقته وتبعه حتى تمهّر » .

---

(١) انظر نزهة الألباء فى ترجمة ابن جنى ص ٤٠٨ من الطبعة الأولى .

ويذكّرنا عجزُ ابن جنّى عن الجواب على ما أورده عليه أبو على من الاعتراض فى مسألة التصريف التى كان يتكلّم فيها بحادثة وقعت لأبى على مع نحوىّ موصلىّ. وكأنما ثأر أبو علىّ إذ تعرّض لابن جنّى الموصلىّ ممّا حدث له[1] . فقد اجتمع أبو علىّ يوما مع محمد بن سعيد البصير الموصلىّ العروضىّ النحوىّ عند أبى بكر ابن شقير . فقال محمد بن سعيد لأبى على : فى أى شىء تنظر يا فتى ؟ فقال : فى التصريف . فجعل يُلقِى عليه من المسائل على مذهب البصريّين والكوفيّين حتى ضجِر منه أبوعلىّ، فهرّب منه إلى النوم، فقال: هربت يا فتى ! قال: نعم، هربت .

ويؤرّخ الرواة اجتياز أبى على بالموصل بسنة ٣٣٧ . وقد كان أبو على جوّالا بالبلاد . ولكن الباحث يسأل : فيم كان اجتيازه بالموصل ؟ فهل كان ذلك لعلم يتلقّاه ، أو رواية من راوٍ بها يَسمعها ؟

وأغلب الظنّ عندى أنه كان مع معزّ الدولة البويهىّ ، فقد أغار على الموصل فى هذا التاريخ[2] ، وهاجم الحمْدانيين . وكان أبو علىّ على اتصال وثيق بآل بويه . وكان أكثر اتصاله بعضد الدولة ، حتى إن عضد الدولة كان يذكر عن نفسه أنه غلام أبى علىّ .

وقد يكون من دواعى هذه الصلة الاشتراك فى الانتساب إلى الفُرْس ، ومعرفة الفارسيّة ، فقد كان أبو على يعرفها[3] ، كما يذكر ذلك تلميذه أبو الفتح . ويبدو أنه كان يصحب آل بويه فى حروبهم ؛ ففى البغية فى ترجمة أبى علىّ أن عضد الدولة لما تهيّأ لقتال ابن عمّه دخل عليه أبو علىّ فقال له عضد

(١) البغية ٤٦ .   (٢) انظر كامل ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٣٧ .

(٣) انظر ص ٢٤٣ من هذا الجزء .

الدولة : ما رأيك فى صحبتنا ؟ فقال له أبو علىّ : أنا من رجال الدعاء ، لا من رجال اللقاء . ولولا أن أبا علىّ من عادته أن يصحب عضد الدولة فى مثل هـذا الوجه لما عرض عليه هذا العرض . و يبدو أن اعتذار أبى علىّ عن صحبة عضد الدولة لأنه كان يقصد حرب رجل من أُسْرة آل بو يه ، وهو لاينبغى أن يحمل أحد منهم حقدا عليه وضغنا نحوه .

وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا على بعد سنة ٣٣٧ ولازمه فى السفر والحضر ، وأخذ عنـه ، وصنّف كتبه فى حياة أستاذه ، فاستجادها ووقعت عنده موقع القبول . وهو كثير الاعتزاز بأبى علىّ ، كثير الرواية عنه فى كتبه . وهو يثنى عليه الثناء الجم . و يقول فى الخصائص ٢٠٨/١ : « وقلت مرّة لأبى بكر أحمد بن علىّ الرازىّ — رحمـه الله — وقد أفَضْنا فى ذكر أبى علىّ ونُبْـل قدره ، ونبـاوة محلّه : أحسب أن أبا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلثَ ما وقع لجميع أصحابنا . فأصغى أبو بكر إليه ، ولم يتبشّع هذا القول عليه » ؛ وهو يريد بالعلم علم العربية . ويقول أيضا فى الخصائص ٢٧٦/١ فى أبى علىّ : « ولله هو ، وعليـه رحمته ! فما كان أقوى قياسه ، وأشدّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقا له . وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلّة أصحابها ، وأعيان شيوخها سبعين سـنة ، زائحةً عللُه ، ساقطةً عنه كُلَفُه ، وجعله همَّه وسَدَمه . لا يعتاقه عنـه ولد ، ولا يعارضه فيه مَتْجَر ، ولا يسـوم به مطلبا ، ولا يخدُم به رئيسا إلا بأُخرة ، وقد حَط عنه أثقاله ، وألقى عصا ترحاله » .

و يشبه ابنُ جنى فى نقله فى كتبه علم أبى علىّ ، سيبو يه فى نقله علم الخليل . على أن ابن جنى كثيرا ما يذكر أن أستاذه كان يسأله فى بعض المسائل ، ويرجع إلى

رأيه فيهـا ، وأن أبا عليّ كان يقتنع بعـلم ابن جني في بعض الأمـور فيدوّن رأيه في كتبه . فهو يقول في الخصائص ١/٣٦٥ : «وقلت مرّة لأبي عليّ — رحمه الله — : قد حضرني شيء في علّة الإتباع في نقيذ ، وإن عَرِيَ أن تكون عينه حَلْقيّة ، وهو قرب القاف من الخـاء والغين . فكما جاء عنهم النِخير والرِغيف كذلك جاء عنهم النِقيذ . فجاز أن تشـبّه القاف لقربها من حروف الحلق بها ، كما شَـبّه من أخفى النون عند الخـاء والغين إياهما بحروف الفم . فالنِقيذ في الإتباع كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون ، فرضيه وتقبّله . ثم رأيته فيما بعد بخطه في تذكرته » .

ويقول في الخصائص في « باب فيما يرد عن العربيّ مخالفا لِمَا عليه الجمهور » : « ودخلت يوما على أبي عليّ — رحمه الله — خاليا في آخر النهار ، فحين رآني قال لي: أين كنت ؟ أنا أطلبك . قلت : وما ذلك ؟ قال : ما تقـول فيما جاء عنهـم من حَوْرِيت؟ فخُضْنا معا فيه ، فلم نَحْل بطائل منه . فقال : هو من لغة اليمن ، ومخالف للغة ابني نزار ، فلا ينكَرَ أن يجيء مخالفا لأمثلتهم » .

وهـو قد يحكي رأي أبي عليّ ولا يرضاه ويخالفه إلى غيره . ففي الخصائص ١/٢٣١ يسأله عن تجفاف أتاؤه للإلحاق بباب قرطاس ، فيقول أبو عليّ : نعم ، ويحتجّ لذلك ، ويقـول ابن جني معقّبا عليـه : « ويبعد هـذا عندي » ويأخذ في الاحتجاج لإنكاره على أستاذه .

وقـد ينهج في تأليفه منهجا غير منهج شيخه أحرى عنده بالاتّباع . وقد ألّف أبو عليّ «الحجّة» في توجيه القراءات السبع ، وألّف ابن جنّي «المحتسَب» في توجيه الشواذ من القراءات ، ويقول في خطبة هذا الكتاب : « إلا أننا — مع ذلك — لا ننسى تقريبه على أهـل القرآن ليحيطوا به . فإن أبا عليّ — رحمه الله — عمل

كتاب الحجّة فى القراءات ، فتجاوز فيه قدر حاجة القُرّاء ، إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء » .

وقد يذكر موضع اجتماعه بأبى علىّ . فهو فى الخصائص ١٢١/١ يقول : «قال لى أبو علىّ بالشأم» وفى «باب فى الاستخلاص من الأعلام معانىَ الأفعال» يذكر أن أبا علىّ أنشده بيتا وهما فى دار المُلْك . والأقرب أنها دار الملك لآل بويه فى بغداد ، وكان لهم دار ملك أيضا فى شيراز . وفى « باب التفسير على المعنى دون اللفظ » أنه كان معه بحلب سنة ٤٦ ، وظاهر أن ذلك كان عند سيف الدولة ابن حَمْدان .

وقد يكتب إليه فى غيبته عنه فى مسائل علمية . وفى سرّ الصناعة (حرف الهاء) : « وكتب إلىّ أبو علىّ من حلب فى جواب شيء سألته عنه ... » .

صحبته للمتنبى

اجتمع ابن جنّى بالمتنبى بحلب عند سيف الدولة بن حمدان ، وفى شيراز عند عضد الدولة . وكان المتنبى يجلّه ، ويقول فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وكان المتنبى إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف فى شعره يقول : سلوا صاحبنا أبا الفتح . ويقول فى مسالك الأبصار : «(١) وكان أبو الطيب المتنبى إذا سئل عن معنى قاله ، أو توجيه إعراب ، حصل فيه إغراب ، دلّ عليه ، وقال : عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى فسلوه فإنه يقول ما أردت ومالم أرد » وترجع مقالة المتنبى الأخيرة إذا صحّ نسبتها إليه إلى سعة علم ابن جنى وتشعّب مذاهبه ، فقد يقع له فى الكلام من المعانى ما لم يقع لقائله .

(١) ٣٠٦/٤ من النسخة المصورة فى دار الكتب .

وابن جنى[1] أوّل من شرح ديوان المتنبّى ، وقد شرحه شرحين ، الشرح الكبير والشرح الصغير ، والأخير هو الباقى لنا . وقد تعقّب معاصروه ، ومن بعدهم شرحه ، ومن هؤلاء الرَّبَعى على بن عيسى المتوفَّى سنة ٤٢٠ ، له كتاب[2] التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى ، وهو ممن شارك ابن جنى فى الأخذ عن أبى على وملازمته . ومنهم محمد بن أحمد المعروف بابن فُورَّجَه[3] ، له كتابا الفتح على أبى الفتح ، والتجنى على ابن جنى يردّ فيهما على ابن جنى فى شعر المتنبئ ، وللشريف المرتضى على بن الحسين كتاب[4] تتبع أبيات المعانى للمتنبي التى تكلم عليها ابن جنى . وللشيخ العميد أبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على ابن جنى باسم « قشر الفسر » منه نسخة بمكتبة طلعت بدار الكتب مخطوطة سنة ٤٧٥ هـ .

وكان ابن جنى يحسن الثناء على المتنبّى فى كتبه ، ويستشهد بشعره فى المعانى والأغراض ، ويعبر عنه بشاعرنا . ويقول فى الخصائص ٢٣٩/١ : « وحدّثنى المتنبي شاعرنا ، وما عرفته إلا صادقا ... » ، وفى ص ٢٤ : « وامتثله شاعرنا آخرا فقال :

فلو قَدّر السنان على لسان . لقال لك السنان كما أقول

ويسوق البديعى فى الصبح المنبى قصّة تنبئ عن إعجاب ابن جنّى بالمتنبى ، وعن وجوده بشيراز حين كان المتنبى هناك ، وذلك فى آخر حياة الشاعر . فقد قُتل بدَيْر العاقول عند منصرَفه من شيراز . ذاك أن أبا على كان إذ ذاك بشيراز « وكان

(١) الصبح المنبى ١٦٠ . (٢) معجم الأدباء فى ترجمة الربعى .
(٣) معجم الأدباء والبغية فى ترجمة ابن فورجه .
(٤) معجم الأدباء والبغية فى ترجمة المرتضى .

إذا مرّ به ابو الطيب يستثقله على قبح زِيّه وما يأخذ به نفسَه من الكبرياء . وكان لابن جنى هوى فى أبى الطيب ، كثير الإعجاب بشعره ، لايبالى بأحد يذمه أو يحطّ منه . وكان يسوءه إطناب أبى على فى ذمه . واتّفق أن قال أبو على يوما : اذكروا لنا بيتا من الشعر نبحث فيه . فبدأ ابن جنى وأنشد :

حُلْتِ دون المزار فاليوم لوزُرْ   تِ لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو علىّ واستعاده . وقال : لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى ؟ فقال ابن جنى : للذى يقول :

أزورهم وسوادُ الليل يَشفع لى   وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال : والله هذا أحسن ! بديع جدا ! فلمن هما ؟ قال : للذى يقول :

أمضَى إرادتَه فسوف له قَدٌ   واستقرب الأقصى فثَمّ له هنا

فكثر إعجاب أبى علىّ ، واستغرب معناه ، وقال : لمن هذا ؟ فقال ابن جنى : للذى يقول :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا   مُضِرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

فقال : وهذا أحسن ! والله لقد أطلت يأبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ فقال : هو الذى لايزال الشيخ يستثقله ، ويستقبح زِيَّه وفعله . وما علينا من القشور إذا استقام اللب ! قال أبو علىّ : أظنك تعنى المتنبى . قلت : نعم» .

ومن دلائل عناية ابن جنى بالمتنبى أنه أخذ شيئا من أخباره عن على بن حمزة البصرى ، لأن المتنبى لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها . كما ذكره ياقوت فى ترجمة على بن حمزة .

جلالته والثناء عليه

بلغ أبو الفتح فى علوم العربية من الجلالة والخَطَر ما لم يبلغه إلا القليل . وقد سلف لك قول المتنبى فيه، وقد كان المتنبىء ذا قدم مكينة وبصر نافذ وإحاطة تامّة بالعربية. وقد أصبح ابن جنى فى مجرى القرون بعده مَضْرِب المثل فى معرفة النحو والتبريز فيه . ويقول العماد فى حديثه عن الحسن بن صافى المعروف بملك النحاة [1] : « وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيّتى ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى [2] » . ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى الشيخ عبد الكريم سلمان [3] : « وجعلته منّى مكان النحو من ابن جنّى » . ويقول ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار : « لم ير مثله فى توجيه المعانى ، وشدّ بيوت القصائد الوثيقة المبانى » . ويقول ابن ماكولا [4] : « وكان نحويّا حاذقا مجوّدا » ويقول الثعالبى فى اليتيمة: « هو القطب فى لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة فى الأدب » .

وقد يبدو للباحث أن ابن جنى لم يبلغ فى حياته من المكانة العلمية ما يستحقه، ولم يدرك ما أدركه بعد من النبالة ونباهة الذكر . وقد يُطِلّ له هذا المعنى من قول المتنبى فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقد يطيب له أن يحتجّ لهذا الرأى بأنه لا يرجع إلى عَرَاقة أصل، ولا يئول إلى شرف محتِد، وبأن العصر كان مشحونا بأفاضل العلماء ، وجِلّة الفُهَماء ، فكان يجرى فى مضمارهم بمقدار .

---

(١) ترجمة ملك النحاة فى معجم الأدباء والبغية .

(٢) يريد غاشية فرسه . وغاشية السرج : غطاؤه .

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام ١/٢٧٨ فى التعليق .

(٤) ج ٣ ص ٧٧ من طبعة الشام .

ولكن التوسع فى دراسة ابن جنى قد يصرف عن هـذا الرأى ، وقـد يثول بصاحبه إلى أن الرجل أوتى حظًا من الشهرة العلمية فى حياته ، ورُزق من القبول ما هو أهـله . ألسنا نراه يخلف أستاذه أبا علىّ فى التدريس فى بغداد بعـد وفاته ، ويدين له بالتلمذة تلاميـذ أبى علىّ . ومنهم أئمـة عظام كعبد السـلام البصرى ، والسمسمى . وأبو على لا ينكر أمره وأستاذيته . فهـذا شرف استأثر به أبو الفتح واستبدّ به على أصحاب أبى علىّ ، وهم كثر .

ويقول القفطىّ فى إنباه الرواة فى الحديث عن زميل لابن جنّى وهو العبدى : « وكان العبدى قـد أدركه خمـول الأدب ، ولم يحصل له من السمعة ما حصل لابن جنى والربعىّ . وكان كثير الشكوى لكساد سوقه وسوق الأدب فى زمانه » .

ولابن جنى قصيدة بائيـة سلف منهـا أبيات فى الكلام على نسـبه ، أوردها ياقوت فى ترجمته ، وفيهـا ما ينبئ عن أنه نال ما يبغى من المكان والمنزلة . ومن ذلك قوله :

شكرتُ الله نعمتَه ... وما أولاه من أَرَب
زَكَت عندى صنائعُه ... فوفّقـنى وأحسن بى
تخـوّلنى وخوّلـنى ... ونوّلـنى ونـوّه بى
وأخّر من يقادمنى ... رأعـلانى وأرغم بى

ويقول فى الحديث عن كتبه :

تنـاقلُها الرواة لمـا ... على الأجفان من حَدَب
فـيرتع فى أزاهرها ... مـلوكُ العُجْم والعَرَب
فمن مُغْنٍ إلى مُدْنٍ ... إلى مُـثْنٍ إلى طَرِب

ويبــدو فضله وعلمــه فى كتبه ومباحثه التى توفّر عليها ، وأحسن عرضها . وهو يعدّ بحق فيلسوف العربية و باقرها .

وعلى مباحث ابن جنّى طابَعُ الاستقصاء والغــوص فى التفاصيل ، والتعمُّق فى التحليل ، واستنباط المبــادئ والأصول من الجزئيّــات . وهو فى هــذا يشبه ابن الرومىّ فى الشعر . وكأنمــا للجنس الرومى الذى ينتميان إليه أثر فى هذا .

ومن مباحثه التى اهتدَى لهــا ، وسَبَق بها الاشتقاقُ الأكبر، وإن كان استمدّ فكرته من أستاذه أبى علىّ . وهو يقول فى الخصائص فى الباب الذى كسره على هذا المبحث : « هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا ؛ غير أن أبا علىّ — رحمه الله — كان يستعين به ، و يخلد إليه ، مع إعواز الاشتقاق الأصغر ؛ لكنه — مع هذا — لم يســمّه ، وإنمــا كان يعتاده عنــد الضرورة ، ويستروح إليــه ، و يتعلل به . وإنمــا هذا التلقيب لنا نحن » .

وابن جنّى — مع حرصه على اتّباع من سبقه وتبجيله لهم — لا يبالى أن يخالفهم إذا تهدّى لرأى لم يقولوا به ، واستوى له دليله ، واستقرّت عنده حُجَّته . ومن ذلك ما رآه فى مسألة « هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ »(1) وهو رأى خالف به السلف ؛ وقد سنّ للباحث أن يذهب إلى ما يهتدى إليه بعد أن يُمعن فى البحث و يستقصى النظر . وهو يقول : « إلا أنّا(2) — مع هذا الذى رأينــاه وسوّغنا مرتكَبه — لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التى قد طال بحثها ، وتقدم نظرها ، وتتالت أواخر على أوائل ، وأعجازا على كلا كل ، والقــوم الذين لا نشكّ فى أن الله — سبحانه وتقدست أسماؤه — قد هداهم لهذا العلم الكريم ، وأراهم وجهَ الحكمة فى الترجيب

(1) الخصائص ١/١٩٢ . (2) الخصائص ١/١٩٠ .

له والتعظيم ، وجعله ببركاتهم ، وعلى أيدى طاعاتهم ، خادما للكتاب المنزل ، وكلام نبيه المرسل ، وعونا على فهمهما ، ومعرفة ما أُمِر به أو نُهِى عنه الثقلان منهما ، إلا بعد أن يناهضه إتقانا ، ويثابته عرفانا ، ولا يُخْلِد إلى سانح خاطره ، ولا إلى نزوة من نَزَوات تفكّره » .

عبارته

اشتهر ابن جنى ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام ، والإبانة عن المعانى بأحسن وجوه الأداء . وهو يسمو فى عبارته ، ويبلغ بها ذروة الفصاحة ، فى المسائل العلميّة الجافّة البعيدة عن الخيال ووجوه التطرية . وقد عرف عنه هـذا . فيقول الأبيوَرْدىّ فى أبى علىّ أحمـد بن محمـد المرزوقىّ[1] : « وهو يتفاصح فى تصانيفـه كابن جنى » والمرزوق أيضا ممن أخذ عن أبى على .

ولابن جنّى فى عباراته وجوهٌ فى استعمال بعض المفردات يدوّنهـا اللغويُّون ، وينوّهون بهـا كما يدوّنون ما يصدر عن العرب ؛ ثقـة بطبيعته العربية ، وسجيّته اللغـوية .

فهو يستعمل (الأصليّة) فى معنى التأصّـل ، ويقول فى ذلك صاحب اللسان (أصل) : « واستعمل ابن جنى الأصليّة موضع التأصّل ، فقـال : الألف وإن كانت فى أكثر أحوالهـا بدلا أو زائدا ، فإنهـا إذا كانت بدلا من أصـل جرت فى الأصلية مجراه . وهذا لم تنطق به العرب ، وإنمـا هو شىء استعملته الأوائل فى بعض كلامها » وظاهر أنه يريد بالأوائل قُدَامى المؤلّفين بعـد عهد العرب ، وأن أوّل هؤلاء فى الاستعمال ابن جنّى ، كما يبدو من صدر هذا الكلام . ويقول

(١) انظر معجم الأدباء فى ترجمة المرزوقى .

فى الخصائص فى « باب فى امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس » : « فالعين فى الصحيح اللام إنما غاية أصليتها أن تقع متحركة ... » على أن ابن جنى إذ يستعمل الأصلية فى معنى التأصّل لم يرتكب بِدْعا ، فإنما جرى فى هذا على انتهاج المصدر الصناعىّ ، فالأصلية للشىء كونه أصلا ، وهذا معنى التأصّل .

ويقول المجد صاحب القاموس فى « نغبة الرشّاف من خطبة الكشاف » عند قول الزمخشرى : أنشأ كتابا ساطعا بيانُه ، قاطعا برهانه : « أُنشأ لا يستعمل إلا فى الجواهر ، وقد تقدّم معناه . يقال : أنشأ دارا أى بناها ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . وقال ابن جنّى فى تأدية الأمثال على ما وضعت عليه : يؤدّى ذلك فى كل موضع على صورته التى أُنشئ فى مبدئه عليها . فاستعمل الإنشاء فى العَرَض الذى هو الكلام » وترى هذا فى اللسان (نشأ) .

على أنه قد تنِدّ منه بعضُ الهنات الكلاميّة التى لا تثلم البلاغة ، ولا تغُضّ من شأوه ، وفراهة أسلوبه .

فهو يُدخل (قد) على الفعل المنفىّ . ففى الخصائص ٢٠/١ : « كما أن القول قد لا يتمّ معناه إلا بغيره » . وهذا لا يجيزه النحويون .

وهو يدخل أل على بعض ، والنحويون يمنعون هذا ، وإن جاء فى عبارة سيبويه والأخفش . ومن أمثلة هذا ما جاء فى الخصائص ٦٤/١ : « فلمّا كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض ... » .

ويقول فى الخصائص ٣٦/١ : « وبذلك تعرف حاله : أصُلْب هو أم رِخو ؟ وأصحيح هو أم سقيم ؟ » وتراه قدّم حرف العطف على أداة الاستفهام ، وهذا

لا يجيزه النحو ، والواجب أن يقال : أوَ صحيح هو أم سقيم ؟ وكذلك يقول في ص ١٥٩ : « ثم ألا ترى ... » .

ويقول في الخصائص ٣٤٨/١ : « وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء يرجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمّت من جهة المعنى إلى أو » وهذا أسلوب غير قاصد . فإن (لا) في قوله (لا لشيء) عاطفة ، ولم يتقدّم معطوف عليه .

ويقول في الخصائص ٣٦١/١ : «لا سيّما والأصمعي ليس ممن ينشَط للمقاييس» ودخول الواو بعد (لا سيما) لا يجيزه بعض النحويين ، وهو المرادي ، وإن أجازه غيره .

أثره فيمن بعده

لقد فتح ابن جني في العربيّة أبوابا لم يتسنَّ فتحها لسواه ، ووضع أصولا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني ، وإهمال ما أُهمِل من الألفاظ ، وغير ذلك . وكان بذلك إماما يَحتاج إلى أَتْباع يَمْضُون في سبيله ، ويبنون على بحوثه ، وإذًا لنضجت أصوله وبلغت إناها ، ولكنه لم يُرزق هؤلاء الأتباع .

على أنه أتيح له لغوىّ كبير ، أغار على فوائده وبحوثه اللغويّة . ذلك هو ابن سيده علي بن أحمد المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو كثيرا ما يغفل العزو إليه في كتابه المحكم ، ويأتي صاحب اللسان فينقل ما في ابن سيده وينسبه إليه وهو لابن جني . وهذا بحث يحتاج إلى بسط واستقصاء .

ففي المحكم ٣٢٦/٣ (مخطوطة الدار ٥١ لغة) نقل فصلا في تفسير النحو أنشأه ابن جِنّي في الخصائص ١ / ٣٤ ، ولم يعزه إلى صاحبه ، وجاء صاحب اللسان (نحو) فعزاه إلى ابن سيده .

وفى اللسان (سيد) نقل بحثا لابن جنى فى الخصائص ١/٢٥١ فى عين سيد، وعزاه إلى ابن سيده . وفى اللسان (تهم) فى الكلام على تَهَامٍ المنسوب الى تِهامة ساق كلاما عن ابن جنىّ ثم قال : « قال ابن سيده : فإن قلت فإن فى تهامة ألفا فلم ذهبت فى تَهَامٍ إلى أن الألف عوض ... » وهــذا الكلام بعينه فى الخصائص فى « باب فى ترافع الأحكام » وقــد بان لى أن الخطأ هنــا من صاحب اللسان . وانظرْ المحكم ٤٨٧/٢ .

وفى المحكم ٥٦٨/٢ فى ترجمة (فوه) يسوق ابن ســيده كلاما طويلا فى أصل « فم » ثم يقول : « وأما قول الراجز :

يا ليتها قد خرجَتْ من فمّــه حتى يعــودَ الملك فى أُسْطُمّه

— يروى بضم الفاء من (فمــه) وفتحها — فالقول فى تشديد الميم عندى أنه ليس بلغة فى هذه الكلمة؛ ألا ترى أنك لا تجد لهذه المشدّدة الميم تصرفا، إنما التصرف كله على (ف و هـ) ... » ثم بعد نحو نصف صفحة يقول : « قال ابن جنى : فهذا حكم تشديد الميم عنــدى ... » والإشارة فى قوله : « فهذا حكم تشديد الميم » إلى ما ســلف من قوله : « فالقول فى تشديد الميم عنــدى أنه ليس بلغة ... » وهذا لم ينســبه ابن ســيده إلى ابن جنىّ ، ومقتضاه أنه رأيه ، ثم يعقبه آخرا بأنه رأى ابن جنىّ . وقد جاز هذا على صاحب اللسان ، فهو يقول : « قال ابن سيده : فالقول فى تشديد الميم ... » ثم يقول : « قال ابن جنى : فهذا حكم تشــديد الميم عندى ... » وترى فى هذا إحالة أية إحالة . وهذا البحث برمتــه فى سرّ الصناعة فى أوّل حرف الميم .

ويسوق صاحب اللسان (سيف) كلاما عن ابن جنيّ في (استافوا) ثم يقول : « قال ابن سيده : فهـذا — لعمري — معناه ، غير أن طريق الصنعة فيـه أنه ذو دَقْق ... » وهـذا أيضا من كلام ابن جنيّ في الخصائص ١/١٥٢ .

وترى في المخصّص من آخر ص ٣ إلى ص ٧ من الجزء الأول بحثا في اللغة ، يبتـدئ بقوله : « وقد اختلفوا في اللغة أمتواطأ عليها أم مُلْهَم إليها ؟ » وهـذا في الخصائص ١/٤٠ — ٤٧ . وهو لا يغيّر من ألفاظ ابن جني إلا بالاختصار وحذف بعض الشـواهد ، والتعبير أحيانا بالمرادف ، كقوله : « قيـل(١) : اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى الأنواع الثلاثة » وفي الخصائص ١/٤١ : «أقوى القُبُل الثلاثة » والقُبُل جمع القَبِيل ، وهو الجماعة والطائفة .

ومما يدعو إلى العجب أن ابن سيده يقول في هذا البحث : « وقد أدمْتُ(٢) التنقير والبحث مع ذلك عن هـذا الموضع ، فوجدت الدواعيَ والخوالج قويّة التجاذب لي ، مختلفةَ جهاتِ التغوّل على فكري . وذلك لأنا إذا تأملنا حال هـذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة ... » وترى هذا مع ما لا يؤبه له من التغيير في عبارة الخصائص ٤٧ . وأول الكلام في الخصائص : « واعلم — فيما بعد — أنني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هـذا الموضع ، فأجد الدواعيَ والخوالج قويّة التجاذب لي ، مختلفة جهات التغوّل على فكري ... » .

وإذا تركنا ابن سـيده يصادفنا رجل آخر ينتفع بعـلم ابن جنيّ ، فيأخذ منه ويدع ، وهو ابن سِـنَان الخفاجيّ عبـد الله بن محمـد المتوفى سنة ٤٦٦ صاحب سرّ الفصاحة ، فهو يقول في هـذا الكتاب ص ١٧ : « ولم يجز أبو الفتح عثمان

(١) ص ٤٠ . (٢) ص ٦٠ .

ابن جنىّ أن يكون قولهم : حروف المعجم بمنزلة قولهم : صـلاة الأولى ومسجد الجامع . قال : لأن معنى ذلك صلاة الفريضة الأولى ومسجد اليوم الجامع ، فهما صفتان حذف موصوفاهما وأقيما مقامهما . وليس كذلك حروف المعجم ؛ لأنه ليس معناه حروف الكلام المعجم ، ولا حروف اللفظ المعجم . وليس ببعيد عنـدى ما أنكره أبو الفتح ، بل يجـوز أن يكون التقـدير : حروف الخطّ المعجم ... » . وكلام ابن جنىّ هنا فى أوائل سرّ الصناعة .

وكذلك ينقل الخفاجىّ عن أبى الفتح فى ص ١٩ ، ٢١ ، ٩٩ ، ١٦٢ من سرّ الفصاحة . وقد يشـتدّ فى نقده لابن جنىّ ، فيقول فى ص ١٠٨ : « وقد حمل أبو الفتح عثمان بن جنى قول أبى الطيب :

نحن ركب مِلْجِنّ فى زىّ ناس ‏ فـوق طير لهـا شخوص الجبال

على المقلوب ، وقال : تقـديره : نحن ركب من الإنس فى زى الجنّ فوق جمـال لهـا شخوص طير . وهـذا عندى تعسف من أبى الفتح لا تقود إليه ضرورة» .

وإذا غادرنا القـرنين الخامس والسادس ودخلنا فى السـابع ألفينا ابن الأثير نصر الله بن محمد المتوفى سنة ٦٣٣ صاحب المثل السائر فى النوع الأوّل من المقالة الثانية يقول : «وكنت تصفّحت كتاب الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنىّ ، فوجدته قد ذكر فى المجاز شيئا يتطرق إليه النظر ... » ويمضى فى الاعتراض عليه والانتقاد له .

وممـا أذكره هنا أن ابن الأثير هذا نقل عن الخصائص فصلا برمّته ولم يعزه إلى أبى الفتح . وذلك فى مقدّمة المقالة الثانية فى الصناعة المعنوية إذ يردّ على من زعم أن العرب اعتنوا بالألفاظ ولم يعتنوا بالمعانى . وهـذا الفصل فى الخصائص ٢١٧/١ وما بعدها .

علمه باللغة

كان ابن جنى واسع الرواية والدراية فى اللغة ، ونرى قدرا صالحا من اللغة مرجعه هذا الإمام .

ومن أمثلة هذا ما جاء فى الخصائص فى « باب فى الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره » ، فقد أورد البيت :

مارية لؤلؤان اللون أوَّدها طَلٌّ و بنَّس عنها فَرْقَدٌ خَصِر

ثم قال : « وقوله : بنَّس عنها هو من النوم » وفى اللسان (بنس) : « قال ابن سيده : قال ابن جنى : قوله بنس عنها إنما هو من النوم ، غير أنه إنما يقال للبقرة . ولا أعلم هذا القول من غير ابن جنى » .

وفى اللسان (فرح) : « ورجل فَرِح ، وفَرُح ، ومفروح ، عن ابن جنىّ » . وقوله : « عن ابن جنى » راجع إلى الصيغتين الأخيرتين كما ذكره فى التاج .

وفى اللسان أيضا (خرفع) : « الخُرْفُع ، والخرْفِع ، والخِرْفُع — بكسر الخاء وضم الفاء — الأخيرة عن ابن جنىّ » وهذا فى الخصائص ٦٨/١ . وكذلك قال فى الضئبل ؛ فقد حكى صاحب اللسان عن ابن جنىّ : الضئبل ، بكسر الضاد وضم الباء ، وهو ما فى الخصائص فى الموطن السابق .

وفى اللسان : « واستكبر الشيء : رآه كبيرا وعظُم عنده ، عند ابن جنىّ » .

وهو فى علل العربية وتخريجها وبيان الحكمة فى تصاريفها واستخراج مناسبات الاشتقاق لا يشقّ له غبار .

على أنه قد يركب متن الشطط والإسراف فى الاشتقاق ، وكان قمّنا بالتثبت فى هذا الباب .

فهو فى «باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى» من الخصائص يذكر أن المِسْك فِعْل من أمسكت الشيء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسَّة عليه، ولا يعدل بها صاحبها عنه. والمسك فارسى معرب، ذكره الجواليقى فى كتابه «المعرّب» ، وعربيته المشموم كما فى المزهر ١/١٦٦ . ويقول الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على معرّب الجواليقىّ : « لم أجد من ادّعى أن المسك معرب غير الجواليقىّ » ، وقد علمت أن المزهر قد عرض لعدّه من المعرّبات ، وقد نقله عن الثعالبىّ . وفى اللسان (مسك) : « وقال الجوهرىّ : المسك من الطيب فارسىّ معرّب . قال : وكانت العرب تسمّيه المشموم » .

وذكر فى الباب السابق الصِوَار للقطعة من المسك، ثم قال : «فقيل له صِوَار لأنه فِعال من صاره يصوره إذا عطفه وثناه ... وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسّة من يَشمّه إليه، وليس من خبائث الأرض فيُعْرَض عنه، وينحرف إلى شقّ غيره » والصوار أيضا فارسىّ كما فى اللسان وإن أهمله الجواليقى .

وفى الباب نفسه يذكر الرطل الذى يوزن به ، ويشتقّه من ترطّل الشَعَر ، وهو فارسىّ معرب . وقد ذكر فى كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة .

وفى هذا الباب يقول : « فلان طُفَيلِىّ . وذلك أنه يميل إلى الطعام ...» وهذا — وإن قاله بعض اللغويين — غير المشهور المتعارف ؛ فإنما الطفيلىّ منسوب إلى طُفَيل بن زَلّال : وهو رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم دون أن يُدْعَى إليها ، فنسب إليه من يأتى هذا العمل .

هل كان شُعُوبيّا

أوردت فى الكلام على نَسَب ابن جنّى فى صدر هـذه المقدّمة شعرا له يذكر فيه انتسابه للروم ، وذلك إذ يقول :

فإن أُصبح بلا نسب ... فعلمى فى الورَى نسَبى
على أنى أءول إلى ... قُرُوم سادة نُجُب
قياصرة إذا نطقوا ... أرَمَّ الدهرُ ذو الخُطَب

وقد يطيب لبعض الناظرين فى هـذا أن يستنبطوا منه شعوبية ابن جنىّ ، وتفضيل بنى الأصفر على العرب . وعندى أن هذا أبعد شىء عن ابن جنى ، وهو قـد نصب نفسه مِدْرَها عن العرب يذود عن مجدها ، ومِقْولا يُبين عن حكمتها وسداد لغتها ، ونبالة أحوالها وعادها . ألا تراه يقول فى الخصائص ٥١/١ : « ألا ترى الجاهليّة الجهلاء كانت تحصِّن فروج مفارشها . وإذا شكّ الرجل منهم فى بعض ولده لم يُلحقه به ، خُلُقًا قادت إليه الأنَفة والطبيعة ، ولم يقتضه نصّ ولا شريعة . وكذلك قوله تعالى : ﴿وإن أَحَدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه﴾ ، قد كان هذا من أظهر شىء معهم، وأكثره فى استعمالهم ؛ أعنى حفظهم للجار ، ومدافعتهم عن الذِمَار . فكأن الشريعة إنما وردت فيما هذه حاله ، بما كان معلوما معمولا به؛ حتى إنه لولم ترد بإيجابه ، لما أخلّ ذلك بحاله ؛ لاستمرار الكافة على فِعاله » . ويقول فى أعقاب الحديث عما أهملته العرب من الألفاظ والموازين ، وعن الأسباب التى حدت العرب على ذلك : « فإن[1] قلت : ومن أين يعلم أن

(١) الخصائص ٧٢/١

العرب قد راعت هـذا الأمر واستشفّته، وعُنيت بأحواله وتتبعته، حتى تحامت هذه المواضع التحاميَ الذى نسبْته إليها، وزعمته مُرَاداً لهـا ؟ وما أنكرت أن يكون القوم أجفى طباعا، وأيبس طينا، من أن يصلوا من النظر إلى هذا القدر اللطيف الدقيق، الذى لايصحّ لذى الرقّة والدقّة منا أن يتصوّره إلا بعد أن توضح له أنحاؤه، بل أن تشرّح له أعضاؤه ؟ ! قيل له : هيهات ! ما أبعدك عن تصوّر أحوالهم، وبُعد أغراضهم، ولطفَ أسرارهم ! » .

فمعاذ الله أن يُرمى ابن جنى بالشعوبية أو يُزَنَّ بها، وإنما كان همّه وسَدَمه أن يجلو عن نفسه ضعة الموالى، بشرف العلم الذى قام له مقام النسب الصميم . ثم ذكر أنّ الجيل الذى ينتسب إليه — وهم الروم — قد كان منهم الملوك والقياصرة . وليس فى هـذا تفضيل للروم على العرب . وحسبه فى الاعتراف بفضل العرب وفوقهم أن يقدم أنه عديم النسب أن لم يكن فى عداد العرب .

وأين هذا من ابن الرومىّ إذ يقول :

قـد يُحسن الروم شـعرا   مـا أحسـنته عُرَيب
يا منكـر المجد فيهـم   قـد كان منهـم صُهَيب

وإذ يقول :

ونحن — بنىاليونان — قوم لنا حجا   ومجـد وعيـدان صِلاب المعاجم
وما تتراءى فى المرايا وجـوهنا   بلى فى صِفاح المرهفات الصوارم

فترى ابن الرومى يفضّل الروم على العرب فى أظهر مزيّة لهم، وهو الشعر والبيان . ثم تراه يبادر بالفخر باليونان، ويذكرهم بالحجا والمجد وصلابة العود، كأنما يعرّض بالعرب ؛ وأين الثرى من الثريا !

ولقد أفحش إسماعيل بن يسار النسائى فى الشعوبية إذ يقول[1] :

رب خال متـوّج لى وعمّ ماجد مجتدىً كريم النصاب
إنمـا سُمِّىَ الفوارس بالفـــر س مضاهاةَ رفعــة الأنساب
فاتركى الفخر يا أُمَامَ علينـا واتركى الجَوْر وانطقى بالصواب
واسألى ـ إن جهلت ـ عنا وعنكم كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نربِّى بناتنـا وتدسُّـو ن سَـفَاهاً بناتِكم فى الـتراب

هل كان شيعياً ؟

لم يعرف عن ابن جنىّ أنه كان شيعيّا ، ولكن يبدو من أمره أنه كان يصانع الشيعة ويحطب فى حبلهم ويأخذ إخذهم . فهو إذا عرض ذكر أمير المؤمنين علىّ — رضى الله عنه — يُردفه بالصلاة عليه . ومن هذا قوله فى « باب فى الاشتقاق الأكبر » : « ومنـه قول علىّ — صلوات الله عليـه — : إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرِى » . وقد كان هـذا من تقاليد الشيعة ومما يحرصون عليه ويدعون إليه . ويذكر المقريزى[2] أن جوهرا القائد بعد أن تمّ له فتحُ مصر لسيّده المعزّ أمر بالجهر بالصلاة على علىّ بن أبى طالب ، وعلى الحسن والحسين وفاطمةَ الزهراء .

وكذلك نراه فى خطبة الخصائص يقول : « وصـلى الله على صفوته محمد وآله المنتجبين ، عليه وعليهم السلام أجمعين » وتراه يُغفل ذكر الصحابة — رضوان الله عليهم — فى هذا المقام ، وكان هذا من شِعَار الشيعة . وتراه أيضا فى هذا المقـام لا يدخل (على) على الآل ، وهـذا مما يلتزمه الشيعة . وفى حاشية عصمت[3] على

(١) انظر الأغانى طبعة الدار ٤/٤١١ . (٢) الخطط ٤/١٥٦ طبعة المليجى .
(٣) ص ٧ .

الجامى : « مَنَع الشيعة إدخال (عَلَى) على (الآل) عنـد التصلية على النبى وآله ، ونقلوا فى ذلك حديثا . والتزم أهل السنة ذكرها ردّا عليهم؛ فإن فى جميع الأحاديث الصحيحة المذكورة فيها الصلاة على النبى عليـه السلام وآله دخل كلمة (على) على آله . فالظاهر أن ما نقلوه موضوع » .

وقد كان من دواعى مصانعته للشيعة أن كان ذوو السلطان — وهم آل بويه — منهـم ، وكان متّصلا بهـم بأقوى الأسباب . وكان هؤلاء البويهيّون حِراصا على إظهار شعائر الشيعة .

ومن ذلك أنه « فى سـنة ٣٥٢ فى يوم عاشوراء[1] ألزم معزّ الدولة أهل بغـداد بالنوح وإقامة المآتم على الحسين — رضى الله عنـه — وأمر بغلق الأسـواق ، وعلّقت عليها المُسُوح، ومنع الطباخين من عمل الأطعمة ، وخرجت نساء الرافضة منشّرات الشعور ، مضمّخات الوجوه ، يلطمن ويفتنّ النـاس » .

وفى سنة ٣٥١ فى شهر ربيع الآخر[2] كتَب العامّة على مساجد بغداد: لعن معاوية ابن أبى سفيان، ولعن من غصَب فاطمة فَدَكًا، ومن أخرج العباس من الشورَى ، ومن نفى أبا ذَرّ الغِفَارىّ ، ومن منع دفن الحسين عنـد جدّه . ولم يمنع معزُّ الدولة من ذلك . وبلغه أن العامّة قد محَوا هـذا المكتوب، فأمر أن يكتب : لعن الله الظالمين لآل رسول الله من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية فى اللعن، فكتب ذلك » . وفى سـنة ٣٥٤ مَنعت[3] الديلم ببغداد النـاس أن يذكروا فضائل الصحابة، وكتب سبّ السلف على المساجد .

---

(١) الشذرات فى حوادث السنة المذكورة . (٢) المنتظم لابن الجوزى ٧/٨ .
(٣) المنتظم ٧/٣٢ .

وكأنما كان التقريب فى عصره لمن يمتّ لآل بويه بمساتّة التشيع أو الانتساب إلى الفُرْس وما جرى هذا المجرى . وكان هذا مدعاة لشكوى من ليس له حظّ من هذه المذاهب ، وربما بنفسه عن أن يمضى فى مسالكها . وهـذا محمد بن عبد الله المعروف بابن سكَّرة الهـاشمىّ (١) يقول من قصيدة يتسخّط فيها الزمان :

أســعى لأدرك حظّا لو مُنيت به ... ما كنت أول محظوظ من الهَمَج

ذنبى إلى الدهر أنى أبطحىٌّ أب ... ولست أدْعَى إلى قُــمّ ولا كَرَج

وقُمّ بلدة فى فارس يغلب على أهلها التشيُّع ، لا تكاد ترى فيهـا غير شيعىّ ، ويظهر أن الكرج كذلك .

وممـا يذكر فى هذا المقـام أن علىّ بن عيسى الرَّبَعىّ (٢) كان على شاطئ دجلة فى يوم شديد الحـرّ فاجتاز عليـه الشريف المرتضى فى سفينة ومعـه ابن جنّى ، وعليهما مِظَلّة تُظلّهما من الشمس ، فهتف الرَّبَعىّ بالمرتضى وقال له : ما أحسن هـذا التشيّع ! علىّ تتقلّى كبده فى الشمس من شدّة الحرّ ، وعثمان عندك فى الظلّ تحت المِظَلّة لئـلا تصيبه الشمس ! فقال المرتضى للمـلّاح : جدّ وأسرع قبـل أن يسبّنا . وفى ياقوت أن ذلك كان مع الشريفين الرضىّ والمرتضى ، وأنه قال لهما : من أعجب أحـوال الشريفين أن يكون عثمان جالسا معهما فى الزَبْزَب — وهـو السفينة — وعلىّ على الشطّ بعيدا عنهما !

والرَّبَعىّ هـذا ممن شارك ابـن جنىّ فى الأخذ عن أبى علىّ ، وكان إماما فى النحو . وكان فيــه لُوثة وجسارة و بَدَوات لا يؤمن جانبه ، وكان لهذا تجنب

---

(١) انظر عيون التواريخ فى حوادث سنة ٣٨٥

(٢) هذه القصة فى ترجمة الربعى فى نزهة الألباء وغيرها .

مجالسته، ولا يصلح لمعاشرة العِلْية من القوم، كما كان ابن جنى الحصيف الأليف، فلا غرو إذًا أن يحظى ابن جنّى بالمكانة عند الشريفين دون الربعى، ولا عليه أن يكون اسمه عثمان فليس ذلك بمُزْرٍ به عندهما، كما لا ينفع الربعىّ عندهما أن يكون اسمه علياً مع ما هو عليه من بعض العادات المنكرة .

مذهبه الفِقْهىّ

يبدو أن ابن جنى كان حنفىّ المذهب، فإن لم يكُنه فقد كان له هوًى فى هذا المذهب وانعطاف نحوه . ولا غرو، فهو عراقىّ يصبو إلى مذهب أهل العراق. وهو فى ذلك كأغلب نحويّى العراق، كالسيرافى الذى كان يقضى على مذهب العراقيّين .

وليس بيدى من المصادر ما يقفنا على من أخذ عنه الفقه فى شبيبته . وأحمد ابن محمد الموصلى الذى أخذ عنه النحو كان شافعيًا، كما يذكر السيوطى فى البغية، وإن لم أقف على ترجمته فى طبقات الشافعية، ولم أقف على تاريخ وفاته .

وانتسابه للحنفية فى الفقه يبدو من قوله فى الخصائص ١/١٦٣ : « وكذلك كُتُب محمد بن الحسن — رحمه الله — إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لأنهم يجدونها منثورة فى أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق . ولا تجد له عِلّة فى شىء من كلامه مستوفاة محرَّرة . وهذا معروف من هذا الحديث عند الجماعة غير منكور » وظاهر أنه يريد محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة، وأنه يتحدّث عن استخراج العلل الفقهية من كتبه . فقوله : « أصحابنا » يعنى به أتباع أبى حنيفة . ويبدو أن ابن جنى كان ينظر فى كتب الفقه وأصوله كثيرا، وقد

احتذى فى مباحث النحو كثيرا منهج الفقه وأصول الفقه . وكان لهذا معنيّا بكتب محمد بن الحسن . وكذلك كان شيخه أبو على معنيا بآثار محمد هذا . و يقول ابن جنى فى الحـديث عن شيخه : « وحدّثنى[1] أنه وقـع حريق بمدينة السلام ، فذهب به جميع علم البصريين . قال : وكنت قد كتبت ذلك كله بخطّى ، وقرأته على أصحابنا ، فلم أجد من الصندوق الذى احترق شيئا البتّة ، إلا نصف كتّاب الطلاق عن محمد ابن الحسن » . وفى ثَبَت كتب ابن جنى عنـد بركلمـان : « مسألتان من كتّاب الأيمـان لمحمد بن الحسن الشيبانى » ، ويذكر بركلمان أنه فى الفاتيكان . فهـذا لا يدع مجالا للشك فى صلته بمذهب العراقيين فى الفقه .

وتراه ينصر الحنفية على الشافعية . ومن أمثلة هـذا ما أورده فى سرّ الصناعة فى حرف الباء : « وأما[2] مايحكيه أصحاب الشافعى عنه من أن البـاء للتبعيض فشىء لا يعرفه أصحابنا ، ولا ورد به ثبت » .

وتراه فى سرّ الصناعة فى حرف الواو ، ينكر على الشافعية ما يرونه من الترتيب فى غسل أعضاء الوضوء ، و يعتمد فى هـذا على أن الواو لاتفيد الترتيب . وقد عطف غسل هـذه الأعضاء بالواو فى الكتّاب . وتراه يحتفل للردّ و يُفيض فيـه أيّمـا إفاضة .

وجاء ذكر الإمام أبى حنيفة فى مبحث الدَّوْر من الخصائص ٢٠٨/١، وفى هذا الموطن يذكر الجصّاص أبا بكر الرازى شيخ الحنفية فى بغداد ، وفى ص٢٠٦ يذكر أبا يوسف صاحب أبى حنيفة .

---

(١) انظر ترجمة أبى على فى ياقوت .

(٢) انظر فى هذا أيضا اللسان ٣٢٧/٢٠ .

مذهبه الكلاميّ

يذكر السيوطى فى المزهر ١/٧ أن ابن جنى كان معتزليا ، كشيخه أبى علىّ . وسأسوق بعض أقواله المنبئة عن اعتزاله .

فهو يقول فى الخصائص فى « باب فى ورود الوفاق مع وجود الخلاف » فى فعل العبد : « وقد قال بعض الناس : إن الفعل لله ، و إن العبد مكتسبه ، و إن كان هذا خطأ عندنا فإنه لقوم » وقد عقب السّيوطىّ على هذا فى الأشباه والنظائر ١/٣٣٨ بقوله : « يعنى أهل السنة ؛ فإن ابن جنى كان معتزليا ، كشيخه الفارسىّ » .

وفى الخصائص فى « باب فى أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة » يقول : « وكذلك أفعال القديم سبحانه ؛ نحو خلق الله السماء والأرض وما كان مثله . ألا ترى أنه — عزّ اسمه — لم يكن منه بذلك خَلْق أفعالنا . ولو كان حقيقة لا مجازا لكان خالقا للكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا عزّ وعلا » فتراه ينسب للعبد خلق الفعل ، وهذا مذهب اعتزالىّ .

و يقول أيضا فى هذا الباب : « ولسنا نثبت له سبحانه علما ؛ لأنه عالم لنفسه » وهذا أيضا مذهب المعتزلة كما هو مقرر فى علم الكلام .

ومن كلامه أيضا فى هذا الباب : « وأما قول الله — عز وجل — : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ فليس من باب المجاز ، بل هو حقيقة . قال أبو الحسن : خلق الله كلاما فى الشجرة ، فكلم به موسى ، و إذا أحدثه كان متكلما به . فأمّا أن يحدثه فى شجرة أو فم أو غيرهما فهو شىء آخر ؛ لكن الكلام واقع . ألا ترى أن المتكلم منا إنما يستحقّ هذه الصفة بكونه متكلما لاغير ، لا لأنه أحدثه فى آلة نطقه ، و إن كان لا يكون متكلما حتى يحرك به آلات نطقه » .

ومما يؤنس باعتزاله أنه فى «باب فى الحكم يقف بين الحكمين» من الخصائص يكرر عبارة «المنزلة بين المنزلتين» . فهو يقول عن ثبات الهاء فى «يامرحباه» : «فثبات الهاء فى (مرحباه) ليس على حدّ الوقف، ولا على حدّ الوصل . أمّا الوصل فيؤذن بأنها ساكنة . وأمّا الوصل فيؤذن بحذفها أصلا : يامرحبا بحمار ناجية . فثباتها إذًا فى الوصل متحركةً منزلةٌ بين المنزلتين .

ومما يؤنس بهذا أيضا أنه يقول فى خطبة الخصائص : «الحمد لله الواحد العدل القديم» . وكان هِجِّيرى المعتزلة القول بالعدل والتوحيد، وفى المقريزى:(1) «المعتزلة الغُلاة فى نفى الصفات الإلهية، القائلون بالعدل والتوحيد» . ويقول الزمخشرى فى خطبة الكشّاف : «ولقد رأيت إخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية» وهو يعنى المعتزلة، ويقول بُعَيد هذا : «فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد» . ويقول السيد الشريف فى كتابه على هذا الموطن من الكشاف : «والمعتزلة سمّوا أنفسهم أهل العدل لأنهم أوجبوا على الله تعالى ما هو عدل عندهم : من ثواب المطيع وعقاب العاصى وتيسير أسباب الطاعات وزواجر المعاصى ورعاية ما هو الأصلح للعباد، ولم يجوِّزوا شيئا مما يعدّ ظلما، وأهلَ التوحيد إذ لم يثبتوا له تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته لاستلزامه تعدّد القدماء المنافى للتوحيد» . وكان الصاحب بن عبّاد معتزليّا يذهب مذهب أهل العدل، وقد تظرف بهذا فى الحب والنسيب إذ يقول :

تعرفتُ بالعدل فى مذهبى ... ودان بحسن جِدَالى العراق
فكُلِّفت فى الحب ما لم أطق ... فقلت بتكليف ما لا يطاق

وانظر ترجمة الصاحب فى نزهة الألباء .

(1) الخطط ٤/١٦٤ طبعة المليجى .

على أن ابن جنى قد لا يتقيد بمذهب المعتزلة و يذهب إلى ما يراه الحقّ وما هو أدنى إلى النصَفة . ومن ذلك ما نراه فى كلامه على اللغة وهل هى اصطلاح أو توقيف . فقد ذكر رأى التوقيف ثم قال فى الخصائص ٤١/١ : « و إذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه والانطواء على القول به » . وهذا منهج أهل السنة .

وهو فى هذا المبحث يتوقَّف(١) فى شأن اللغة . وهو بذلك يخالف مذهب الاعتزال ؛ وهو الجزم بأنها اصطلاح وتواضع .

وتراه فى ص ٤٨ فى مبحث علل العربية يذكر أن علل الفقه أعلام وأمارات بالوقوع الأحكام . وذلك منهج أهل السنة . والمعتزلة يرون أن علل الفقه مؤثِّرة فى الأحكام الشرعية باعثة عليها .

مذهبه النحوىّ

كانت المذاهب النحويّة لعهد ابن جنّى ثلاثة : مذهبان قديمان ، وهما البصرىّ والكوفىّ . ومذهب حَدَث من خَلْط المذهبين والتخيّر منهما . وهو مذهب البغداديّين .

وكان ابن جنى — كشيخه أبى علىّ — بصريّا . فهو يجرى فى كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب ، وهو ينافح عنه و يذبّ ، ولا يألو فى ذلك جهدا . وتراه فى سرّ الصناعة فى حرف النون يقول : « ... كما قال الآخر :

أن تهبطين بلاد قو ... م يرتعون من الطِلاح

---

(١) ص ٤٧ .

فهذا على تشبيه (أن) بـ (ما) التى فى معنى المصدر، فى قول الكوفيين . فأمّا على قولنا نحن فإنه أراد أنّ الثقيلة ، وخفّفها ضرورة . وتقديره : أنك تهبطين » .

وفى سرّ الصناعة أيضا فى حرف الكاف : « فإذا قلت : أنت كزيد ، وجعلت الكاف اسما فلا ضمير فيها ؛ كما أنك إذا قلت : أنت مثل زيد فلا ضمير فى (مثل) ؛ كما لا ضمير فى الأخ ولا الابن إذا قلت : أنت أخو زيد ، وأنت ابن زيد . هذا قول أصحابنا . وإن كان قد أجاز بعضُ البغداديين أن يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتقّ من الفعل ضمير ؛ كما يكون فى المشتق » . ومن الجلىّ أنه يريد بقوله : « أصحابنا » البصريّين .

ولم يدر بخَلَد ناظر أن كان ابن جنى كوفيّا ؛ فهذا ما لم يجر فى الوَهْم والخيال . ولكن بعض الباحثين طاب له أن يسلك ابن جنى فى عداد البغداديين . وشُبْهته فى هذا أن سكَن بغداد وأوطنها ، حتى لقى ربّه فيها . وإنما كان مُقامه ببغداد بأُخَرة بعد أن نضج واستقرّت إمامته وتأصّل عدّه فى البصريين . والناظر فى كلام ابن جنى يرى من الدلائل ما لا يحصى على هدم هذه الدعوى، ونقضها .

ومن هذا ما سقته عن سرّ الصناعة . وفى هذا الكتاب أيضا فى حرف الفاء: «وقول البغداديين : إنا ننصب الجواب على الصرف كلام فيه إجمال ، بعضه صحيح ، وبعضه فاسد ... » وفيه أيضا فى حرف الواو : « واعلم أن البغداديين قد أجازوا فى الواو أن تكون زائدة فى مواضع ... فأمّا أصحابنا فيدفعون هذا التأول البتّة ، ولا يجيزون زيادة هذه الواو » .

على أن الرجل كان منهوما بالعلم يأخذه عن أهله ، بصريّا كان أو غيره . فهو كثير النقل عن ثعلب والكسائىّ وأضرابهما ، حسن الذكر لهذين الرجلين والثناء

عليهما. فهو يقول فى الكسائىّ — فى الخصائص : «باب فى قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف» : «وكان هذا الرجل كبيرا فى السداد والثقة عند أصحابنا» .

وهو برىء من العصبيّة المذهبية التى تُعمى عن الحق ، ويُنحى باللائمة على من ينساق معها ، ويمضى فى سبيلها . فتراه يقول فى سرّ الصناعة ، فى حرف الهاء : «ورأيت أبا محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى فى هذا الموضع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح ، وظلمه وغصبه حقَّه . والأمر عندى بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه فى كثير ممّا ألزمه إيّاه . وما كنت أراه بهذه المنزلة ، ولقد كنت أعتقد فيه الترفّع عنها . فإن كان من أصحابى ، وقائلا بقول مشيخة البصريّين فى غالب أمره ، وكان أحمد بن يحيى كوفيّا قلبًا [1] فالحقّ أحقّ أن يُتّبع ، أين حَلّ وصَقَع [2] » .

وقد يرى فى النحو ما هو بغدادىّ. فتراه يثبت فى ألفاظ التوكيد التابعة لأجمع أبتع وما تصرّف منه، فيقول فى الخصائص ٨٣/١ : «ووجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة — مع مجيئها بها للضرورة الداعية إليها — أنهم لما أكّدوا فقالوا: أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون لم يعيدوا أجمعون البتة ...» ويقول الرضىّ فى شرح الكافية ٣٣٦/١ : «وأمّا أكتع وأخَواته فالبصريّون — على ما حكى الأندلسىّ عنهم — جعلوا النهاية أبصع ومتصرّفاته، ولم يذكروا أبتع ومتصرّفاته ... والبغدادية جعلوا النهاية أبتع وأخواته ، فقالوا : أجمع أكتع أبصع أبتع» ولا يقضى هذا

---

(١) أى خالصا محضا ، يقال : عربى قلب : محض النسب .

(٢) أى ذهب وتوجه . يقال : ما أدرى أين صقع و بقع .

الوفاق للبغداديين أن يكون ابن جنّى بغداديًا ؛ فإن هذه مسألة ترجع إلى السماع ، وقد صحّ عنده هذا ، ولكنه باقٍ على أصول البصريين ، ولا يرضى لنفسه أن يكون بغداديًا ، فهو كثير النيل منهم والتصريح بخلافهم .

ابن جنّى بين النحو والصرف

كان ابن جنى إماما فى النحو والصرف ، وهو على إمامته فيهما فى النحو أمثل منه فى الصرف ، كما يذكره الكاتبون لترجمته ، وإن كان لا يعرف إلا بالنحوىّ ، فالنحو — بالمعنى العامّ — ينتظم الصرف . ومردّ نبوغه فى الصرف وتفوقه فيه أن عجزه أمام أبى علىّ كان فى مسألة صرفية ؛ كما سبق إيراده ، فكان جدّه فى الصرف أكثر وأبلغ من جِدّه فى النحو .

وقد يؤنس بتخلّفه فى النحو القصّة التى يرويها صاحب نزهة الألباء فى ترجمة على بن عيسى الربعىّ . وها هى ذى : «اجتمع الربعىّ وابن جنىّ يمشيان فى موضع . فاجتازَ على باب خَربة فرأى فيها كلبا — أى الربعىّ وكان مغرى بقتل الكلاب — فقال لابن جنى : قف على الباب ، ودخل . فلمّا رآه الكلب يريد أن يقتله هرب وخرج ، ولم يقدر ابن جنى على منعه . فقال له الربعىّ : ويلك يا ابن جنى ! مُدْبِرٌ فى النحو ، ومُدْبِر فى قتل الكلاب ! » .

ويذكر ابن عقيل فى شرحه للألفية فى مبحث الابتداء أن أبا الفتح سأله ولده عن إعراب بيت أبى نواس :

غيرُ مأسوف على زمن   ينقضى بالهم والحزن

فارتبك فى إعرابه .

ومن آرائه النحوية التى لم يتابَع فيها تجويزه إظهار متعلق الظرف الواقع خبرا فى الكون العام ، نحو زيد عندك . قال ابن يعيش فى شرح المفصل ٩٠/١ : « وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره » .

ومن هذا أنه فى الخصائص ١٠٦/١ ، ٣٤٢ يجيز أن يقال : مررت بزيد وعمرا ، بعطف عمرا على محل زيد المجرور بالحرف ، وهذا لا يجيزه النحويون ؛ لأن شرط العطف على المحلّ عندهم ظهور الإعراب المحلىّ فى فصيح الكلام . وانظر المغنى فى مبحث العطف على المحلّ من الكتاب الرابع .

ومن آرائه التى خالف فيها اصطلاح النحويين ما يراه فى علل منع الصرف . فهو فى الخصائص ١٠٩/١ يقول : « ألا ترى أن الأسباب المانعة من الصرف تسعة : واحد منها لفظىّ ، وهو شَبَه الفعل لفظا ؛ نحو أحمد ويرمع وتنضب وإثمد وأُبْلُم وبَقَّم وإستبرق . والثمانية الباقية كلها معنوية ؛ كالتعريف والوصف والعدل والتأنيث وغير ذلك » واصطلاح النحاة المتأخرين أن المعنوى منها التعريف والوصف ، وما عدا هذين لفظى .

ومن آرائه أنه يرى فى بَغِىّ فى معنى الفاجرة أن زنتها فَعِيل لا فَعُول . ويقول الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير سورة مريم عند قوله تعالى : قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغيا : « والبغى : الفاجرة التى تبغى الرجال . وهى فَعُول عند المبرد : بَغُوىٌ ، فادّغمتْ الواو فى الياء . وقال ابن جنى فى كتاب التمام : هى فعيل . ولو كانت فعولا لقيل : بَغُو ؛ كما قيل : فلان نَهُوّ عن المنكر» . وقد ردّ على احتجاجه بأن نَهُوّا فى عِداد الشاذّ فلا يقاس عليه ؛ وإنما قياسه نَهِىّ .

شـــعره

كان لابن جنى شعر . و يقول ابن الأثير[1] وابن ماكولا[2] : « وله شعر بارد » . وكأن أساس هذا الحكم منهما أن ابن جنى كان يتعاطى فى شعره الغريب والمعقّد من الأساليب ، وأنه لم يكن يُعنى بالشعر ، فقد كان همّه العـلم ، وكان غِناه به ، وكانت به حُظوته عند الملوك وذوى السلطان ، فلم يكن يحتاج إلى الشعر يستميح به . و يقول الثعالبى[3] : « وكان الشعر أقلّ خلاله ، لعظم قَدْره وارتفاع حاله » . وابن الجوزىّ أحسن رأيا فيه ، فهو يقول[4] : «وكان يقول الشعر ويجيد نظمه» ، وكذلك من قبله الخطيب فى تاريخ بغداد يقول المقالة السالفة .

وقـد كان ابن جنى — لـمَا أسلفت — مُقِـلّا من الشعر ، غير مشهور به . ويقول الباخرزى فى الدمية : « وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، ويسيغ ذلك الجَريض ، حتى قرأت له مرثية فى المتنبى ... »

على أنه قد يقع له من الشعر ما يأخذ بالقلوب ، و يأسر الألباب .

وشعره فيما يمسّه من فقد حبيب أو غزل فيـه ، أو فخر وبأو بعلمه ومآثره .

ولا نرى له شعرا فى مدح ملك إلا لـماما .

ومن شعره مرثيته فى المتنبى التى نوه بها الباخرزى . وفيها يقول :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب ... وصوّحت بعـــد رِىّ دَوحة الكُتُب

سُـــلِبتَ ثوب بهاء كنت تلبسه ... كما تُخَـــطَّف بالخطِّية السُـــلُب

---

(١) تاريخ الكامل فى حوادث سنة ٣٩٣ . (٢) كتاب الإكمال فى رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب . (٣) اليتيمة ١/٧٧ من طبعة الشام .

(٤) المنتظم ٧/٢٢٠ .

ما زلت تصحب فى الجُلّى إذا آنشعبت ... قلبا جميعا وعزما غـير منشعب

وقد حلبتَ — لعمرى — الدهر أشطره ... تمـطو بهمة لا وانٍ ولا وَصِب

من للهواجل يُحيي مَيْت أرسمها ... بكل جائلة التصـدير والحَقَب!

قَبَّاءَ خوصاء محمود علَالتها ... تنبو عريكتها بالحِلْس والقَتَب

وترى من هذا ميله للغريب .

وله فى الغزل :

غزال غير وحشىّ ... حكى الوحشىّ مقلته

رآه الورد يجنى الور ... د فاستكساه حُلّته

وشمّ بأنفه الريحا ... ن فاستهداه زَهرته

وذاقت ريقه الصهبا ... ءُ فاختلسته نَكْهته

وهو شعر يسيل من الرِّقة ، كما ترى .

وله فى الغزل أيضا :

تجبّب أو تدرّع أو تقبّا ... فلا والله لا أزداد حبا

أخذت ببعض حبّك كلّ قلبى ... فإن رمت المزيد فهات قلبا

تجبب أى البس الجبّة ، وتدرّع : البس المِدْرَعة — وهى ثوب من صوف — ، وتقبّا أى ألبس القَبَاء . و يقع هذان البيتان فى كثير من الكتب محرّفين .

وله فى الحنين إلى الشباب و بكاء عهده الناضر :

رأيت محاسن ضحك الربيـ ... ـع طال عليها بكاء السحاب

وقـد ضحك الشيب فى لِمَّتى ... فـلِمْ لا أبَكّى ربيع الشباب
أأشرب فى الكأس ! كلّا وحاشا ... لأبصره فى صـفاء الشراب

ترى فى هذا معنى بديعا ، فهو يتجنّب الشرب فى الكأس خشية أن يرى فى صفائها شيبه ، فتنالَه الحسرة ويأخذه الجزع .

وله قصيدة طويلة يفخر فيها ، مطلعها :

وحلوِ شمـائل الأدب ... منيف مراتب الحسب
أخى فخـر مفـاخره ... عقائل عقلة الأدب
له كلف بمـا كلِفت ... به العلمـاء مِلْعَـرب

ويمضى هكذا طويلا فى الحـديث عن نفسه . ومن هذه القصيدة ما أوردته فى صدر هذه المقدّمة من شعره الذى يعتزى فيه إلى الروم .

وقد أورد له الثعالبى فى اليتيمة :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتوَوا ... ولا أنا مذ سـار الركاب أنا أنا
وجـود المنى ألا يكاثر بالمـنى ... ونيـل الغنى ألا يكاثر بالغـنى
ومن كان فى الدنيـا أشدّ تصوّرا ... تجـده عن الدنيا أشـدّ تصوّنا

وممـا أذكره فى هذا الموطن أن صاحب تاريخ الموصل أورد من شعره :

شـواهدى عينـاى إنى بهـا ... بكيت حتى ذهبت واحـدة
وأعجب الأشياء أن التى ... قـد بقيت فى صحبتى زاهـدة

وهـذا شعر لأبى الحسن على بن منصور أورده له ابن خلكان فى ترجمة ابن جنى فى صدد الكلام على شعره الذى يذكر فيه عوره، على ما سلف .

مكانه فى الرواية

يكثر ابن جنى من الرواية عن غيره . فهو ينقل عن سيبويه وعن أستاذه أبى علىّ ، وعن غيرهما من علماء البلدين ، وهو يستشهد بالشعر والقصص ، ويجول فى فنون المعرفة ، ويستطرد لما هو بسبيله . وهو يدنو فى هذا بعض الشىء من الجاحظ فى استطراده وتنويعه ، وخروجه من باب إلى باب ومن فن إلى فن .

ويبدو أنه قد يعتمد فى النقل على حفظه ، فينال نقلَه بعضُ التغيير . ومن ذلك أنه أورد فى ص ٢٤٩ من الخصائص حديثا عن سيبويه ، نخالف فيه بعض الشىء . وقد نبهت على هذا فى التعليق على هذا الموطن .

وقد رماه صاحب الخزانة ذات مرة بأنه أخلّ فى النقل عن أبى علىّ . وذلك فى الكلام على الرجز :

باتت تنوش الحوض نوشا من عَلَا نوشا به تَقطع أجواز الفلا

و (علا) فى البيت يجوّز النحويون فيه أن يكون مبنيا ، وأصله : عَلُوُ بالبناء على الضمّ ، كما يقال من قبلُ ، وقلبت الواو ألفا لتحركها بالضمّ وانفتاح ما قبلها ، وأن يكون معربا ، وأصله : عَلَوٍ ، كما يقال من قبلٍ ، فقلبت الواو ألفا لتحركها بالكسر . وهذان الوجهان ذكرهما أبو على فى تذكرته .

وقد عرض لابن جنى أن يتكلم على هذا الرجز ، ويذكر رأى أبى على فيه ، فاقتصر على الوجه الأوّل ، فكان أن قال البغدادىّ (١) : « وقد أخل ابن جنى فى شرح تصريف المازنى فى النقل عن أبى على ؛ فإنه قال : قد كان أبو على يقول

(١) الخزانة ٤ / ٢٦٢ .

فى (علا) من هذا الرجز : إن الألف فى (علا) منقلبة عن الواو لأنه من علوت ، وإن الكلمة فى موضع مبنىّ ، نحو قبل وبعد ؛ لأنه يريد : نوشا من علاه ، فلمّا اقتطع المضاف من المضاف إليه وجب بناء الكلمة على الضم ، نحو قبل وبعد . فلمّا وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قلبت ألفا . وهذا مذهب حسن . ونصّ أبى على فى تذكرته : يجوز أن يكون (علا) مبنيًّا معرفة ، ويجوز أن يكون معربا نكرة . فإن كان مبنيًّا كانت الألف منقلبة عن الواو لتحركها بالضمة . وإن كان معربا كانت منقلبة عن الواو لتحركها بالجر » .

وعندى أن ما حدث من ابن جنى لا يعدّ إخلالا فى النقل ، وإنما هو أن اقتصر على أحد وجهين لأبى على فى الرجز . ويكثر من ابن جنى ألا يستوعب ما يقال فى الأمر يعرض له . وهذه خُطّة دبّرها واعتمدها .

ويقول فى ص ١٣ من الخصائص، وقد أورد الشطر :

* عليها الشيخ كالأسد الكليم *

: « ويجوز الكليم بالجر والرفع » . ولو كان ذاكرا للقصيدة التى فيها هذا الشطر ما قال هذا القول . والقصيدة مفضّلية مرفوعة الروىّ ، وصدر الشطر :

* هى الفرس التى كرّت عليهم *

ومطلع القصيدة :

تسائلنى بنو جُشَمَ بن بكر أغرّاء العَرَادةُ أم بَهِيمُ

هذا . ولابن فورّجه موقف مع ابن جنىّ غير كريم ، يتهمه فيه بالتقوّل والكذب . ذلك أن ابن جنىّ فى شرحه لديوان المتنبى ذكر أنه سأل أبا الطيّب عن قوله :

أمِط عنك تشبيهى بما وكأنه فما أحد فوقى وما أحد مثلى

: ماذا يريد بقوله : (بما وكأنه) ، فقال[1] له الشاعر : إن (ما) سبب التشبيه ؛ لأن القائل إذا قال لآخر : بم تشبّه هذا ؟ قال له المجيب : كأنه الأسد ، أو كأنه الأرقم . فجاء ابن فورجه فى كتابه " الفتح على أبى الفتح " وهزىء بهذا التفسير ، وساق حكاية للمبرد وأبى حنيفة الدينورى فى مجلس بعض الأمراء ، سئل المبرد فيه عن كلمة من اللغة يجهلها ، فاخترع لها تفسيرا ، وارتجل شاهدا لوقته على ما يقول ، خشية أن يتّهم بالجهل فى مجلس أمير لم يكن قد رآه وإنما سمع به ، فردّ عليه أبو حنيفة وكشف عن أمره ، ثم قال ابن فورّجه : « وأنا أحلف بالله العلىّ إن كان أبو الطيب قطّ سئل عن هذا البيت فأجاب هذا الجواب الذى حكاه ابن جنى وإن كان إلا متزيّدا مبطلا فيما يدّعيه — عفا الله عنه وغفر له — ، فالجهل والإقرار به أحسن من هذا[2] » ومن الجلىّ أن هذا إسراف فى الإنكار على أبى الفتح بغير سند إلا استبعاد المعنى الذى فسّر به البيت ، وهو احتجاج واه لا يقوم على التمحيص والنقد . ولقد عاشر ابن جنى أبا الطيب دهرا طويلا ، وعُنى بشرح الديوان ، وكان يسأل صاحبه عن معانيه . فإن كان فى التفسير ضعف عند ابن فورجه فليس من البعيد أن يقع فيه أبو الطيب ، وإنما يردّ ما يروى عن أبى الطيب بأن ينكر أبو الطيب الرواية وينتفل منها . ومن المقرر عندهم أن من حفظ حجّة على من لم يحفظ . وإنما حمل ابن فورجه على أن يسىء القول فى أبى الفتح حجاب المعاصرة والمنافسة ، وذلك حجاب كثيف يستر الحسنات ، ويبرز السيئات

(١) انظر شرح الواحدى للديوان ٢٣٠ .

(٢) انظر ترجمة أبى حنيفة الدينورى فى معجم الأدباء ٣ / ٣١ وما بعدها .

خطه

كان لابن جنى طريقة فى الخط معروفة . و يقول ياقوت فى علىّ بن زيد القاشانى أحد أصحاب ابن جنى : « وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقّد ، سلك فيه طريقة شيخه أبى الفتح »[1] .

ويبدو أنه كتب بخطّه كثيرا من كتب الأدب ودواوين اللغة . وفى ترجمة ابن البوّاب[2] أنه كتب كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه لابن الأعرابىّ ، وقال فى ختامه : « نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبى الفتح عثمان بن جنى — أيده الله — : بلغ عثمان بن جنى نسخا من أوّله وعرضا » .

ويتصل بهذا أنه عنى بأن يُحسن أولاده الخط ، كما سيمرّ بك فى المبحث التالى .

ولم نقف على شىء من خَطّه فنتبينه .

أسرته

كل ما يعرف عن أسرة ابن جنى أنه كان له من الولد ثلاثة : علىّ وعالٍ وعلاء . ويقول فيهم ياقوت : « وكلهم أدباء فضلاء ، قد خرّجهم والدهم ، وحسّن خطوطَهم ، فهم معدودون فى الصحيحِى الضبط ، وحَسَنِى الخط » .

ولم أر ذكرا فى كتب الطبقات والأدب لغير عالٍ ؛ فهو له ترجمة فى معجم الأدباء ، يقول فيه : « أبو سعد البغدادىّ . كان نحويّا أديبا حسن الخط ، أخذ عن أبى الفتح بن جنىّ ، والوزير عيسى بن علىّ » وذكر أنه مات سنة سبع أو ثمان وخمسين وأربعمائة .

---

(١) معجم الأدباء ١٣ / ٢١٩ .

(٢) معجم الأدباء ١٥ / ١٣٠ .

ونرى أبا زكريا الخطيب التبريزى يروى عن عال هـذا فى غير موطن . وفى شرح أدب[1] الكاتب للجواليق : «قرأت على أبى زكريا عن عال بن عثمان بن جنى عن أبيه قال : اللام فى قولهم : الآن حدّ الزمانين غير اللام فى قوله تعالى : قالوا الآن جئت بالحقّ ... » وهذا البحث فى الخصائص ، فى « باب آستغناء العرب عن الكلام بما يجوز فى القياس » .

ويقول الجواليق أيضا فى المعرَّب : « أخبرنى أبو زكريا عن عال بن عثمان ابن جنى عن أبيه قال : السُّوذانِق ، والسَوْذَنيق، والشَّوْذَنيق ، والشَّوْذَق بالشين معجمة » .

وقد أخذ عن عال أيضا ابن ماكولا . ويقول فى كتابه " الإكمال فى رفع الارتياب " فى كلامه على آبن جنى : « وابنه أبو سعد عال بن عثمان بن جنى أدركته بصَيْداء، وسمعت منه . وكان قد سمع مسند أبى يعلى الموصلىّ من المرجى، وسمع ببغداد من عيسى بن علىّ » .

ويبدو من هذا أن عاليا كان من المحدّثين .

وقد بان من هذا أن لم يكن من أولاده مَن آسمه الفتح، وأنّ كنيته بأبى الفتح كما قال الشاعر :

* لها كنية عمرو وليس لها عمرو *

مَن عاصرهم من ذوى السلطان

كان عصر ابن جنى عصر ضعيف الدولة العباسية . فالخلفاء مغلوبون على أمرهم، والأمر لغيرهم، وولاة الأقاليم وعمالهم مستبدّون بمعظمها . فمصر فى أيدى

(1) ص ٤٠ .

الإخشيديين ثم فى أيدى الفاطميّين، وولايات فارس يتداولها المتغلّبون، والموصل بين الحمدانيين وآل بويه؛ وحلب، وبلاد كثيرة تحت أيدى الحمدانيين . وبغداد تحت سلطان آل بويه منذ سنة ٣٣٤ . ولقد تعرض هؤلاء للخلفاء بالخلع والإذلال ولم يكن للخليفة معهم إلا الاسم . وكانوا يفرضون لنفقة الخليفة قدْرًا من المال هو حظّه من السلطان، حتى إنه فى سنة ٣٣٦ قطع معز الدولة عن الخليفة ألفى الدرهم التى كان خصّصها كل يوم لنفقته، وعوّضه عنها ضياعا من البصرة وغيرها .[1]

وقد اتصل ابن جنى منذ سنة ٣٤١ بسيف الدولة بن حمدان فى حلب، واجتمع فى حضرته بالمتنبّى كما أسلفت . وقد كانت حضرة سيف الدولة مجمعا للشعراء والأدباء، كما هو معروف، وكانت وفاته سنة ٣٥٦ .

وتوثّقت صلته بآل بويه فى شيراز وفى بغداد . ويبدو أن ذلك كان بتقريب شيخه أبى علىّ الفارسىّ إيّاه لديهم، وكان أبو علىّ أثيرا عندهم، مكينا لديهم . وكان عضد الدولة يذكر أنه غلام أبى علىّ فى النحو، وقد وُجد فى تذكرة له[2]: إذا فرغنا من كتاب أبى علىّ النحوىّ تصدّقتُ بخمسين ألف دينار[3]، ولما تزوج الخليفة الطائع فى سنة ٣٦٩ بنت عضد الدولة الكبرى كان الوكيلَ عن عضد الدولة فى العقد أبو علىّ الفارسىّ .

ويظهر أن سائر أصحاب أبى علىّ كانوا مقربين عند آل بويه بقرب أستاذهم . فالربعىّ[4] — وهو من جِلّة أصحاب الفارسىّ — يقول فى قصة له : «استدعانى عضد الدولة، وبين يديه الحماسة، فوضع يده على باب الأضياف» ثم يقول :

---

(١) المنتظم ٦/٣٥٧ . (٢) المنتظم ٧/١١٥ . (٣) المنتظم ٧/١٠١ .

(٤) معجم الأدباء فى على بن عيسى الربعى .

« فوجمت بين يديه وأنا أقف وهو ينظر إلىّ . وكان من عاداتنا أنه ما دام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفا بين يديه حتى يردّ طرفه » .

ويذكر بعض كُتّاب ترجمة ابن جنى من باحثى عصرنا[1] « أنه كان يشغل مركز كاتب الإنشاء عند عضد الدولة، وعند خلفه » وقد نسب هذا الخبر إلى ياقوت. وظاهر أنه يريد كتابه معجم الأدباء . ولا أجد هذا الخبر فى الكتاب . ويبدو لى أن منشأ هذا الوَهْم القصة التى حكاها ياقوت فى ترجمة ابن جنى ، وهى هذه : «وحدَّث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسّن ، قال : حدثنى أبى، قال : كان من كتاب الإنشاء فى أيام عضد الدولة، وبعدها فى أيام صَمْصام الدولة ابنه كاتب يعرف بأبى الحسين القُمّىّ . قال : وشاهدته فى ديوان الإنشاء يكتب بين يدى جدّى أبى إسحق لمّا ولاه صمصام الدولة . فاتفق أنه حضر يوما عند جدى أبى إسحق أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى فى الديوان ... » وكأن هذا الذى ذكر الحكم السابق عن ابن جنى فى عمله فى ديوان الإنشاء نظر صدر الحديث : « كان من كتاب الإنشاء فى أيام عضد الدولة وبعدها أيام صمصام الدولة ابنه » فجعل هذا الحديث عن ابن جنى ، وإنما الحديث عن قوله بعد : « كاتب يعرف بأبى الحسين القمّىّ » ولا يعرف عن ابن جنى هذا العمل . وإنما كان يشتغل بالتعليم والتدريس . ويقول الخطيب فى تاريخ بغداد : «سكن[2] ابن جنى بغداد ، ودرّس بها العلم إلى أن مات » .

على أن القفطى يقول : «وخدم أبو الفتح عثمان بن جنى بيت آل بويه فى عهد عضد الدولة ، وولده صمصام الدولة ، وولده شرف الدولة ، وولده بهاء الدولة الذى

---

(١) تاريخ الموصل ٢/٦٣ . (٢) ج ١١ ص ٣١٢

مات فى عهده : ، وكان ملازمهم فى دورهم » وظاهر أن خدمته لهم قد فسرها فى قوله : « وكان ملازمهم فى دورهم » فهو إنما كان مقربا عندهم يأنسون إليه وينال من برهم وألطافهم ، ولا يراد أنه يلى لهم عملا من أعمال الديوان .

نهايتــــه

بلغ ابن جنىّ المنهل الذى يرده كل من على ظهرها ، وألقى عصا التسيار فى هذه الحياة فى يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[1] . ويكاد الرواة يجمعون على سنة وفاته ، إلا ما كان من ابن الأثير فى تاريخه ، فهو يضع وفاته سنة ٣٩٣ ، وتبعه على هذا أبو الفداء فى المختصر . ويبدو أن وفاته كانت ليلا أى ليلة الجمعة ، ففى فهرست ابن النديم : « توفى ليلة الجمعة من صفر » وفى ديوان الشريف الرضىّ عند إيراد مرثيته فى ابن جنىّ : « وتوفى ببغداد ليلة الجمعة » . وفى هذا الديوان أيضا فى الموطن السابق : « وتولى الصلاة عليه الشريف الرضىّ ؛ وكان بينهما صداقة وكيدة » .

وقد كانت وفاته ببغداد ، حيث آستقرّ فى آخر أيامه . ودفن فى مقابرها ، ولا أدرى فى أيّها دفن ، ودفن أبو علىّ أستاذه فى الشُّونيزيّة ، فهل دفن فيها بجوار شيخه .

وقد رثاه الشريف الرضى بقصيدة عامرة عدّتها تسعة وخمسون بيتا ، مثبتة فى ديوانه ، يقول فى أوّلها :

ألا يالقوم للخطوب الطوارق ! وللعظم يُرمى كل يوم بعارق ![2]

(١) يوافق ١٥ من يناير سنة ١٠٠٢ م . (٢) يقال : عرق العظم : أخذ ما عليه من اللحم . يريد نزول الحوادث بالمرء ، فيجردنه من الأعلاق النفيسة من حميم ومال .

وللدهر يُعرى جانبي من أقاربي   ويقطع ما بيني وبين الأصادق ![1]

وللنفس قد طارت شَعَاعا من الجوى   لفقد الصفايا وانقطاع العلائق

لها كلّ يوم موقف من مودّع   ومُلتفَتٌ فى عُقْب ماض مفارق

نجوم من الإخوان يَرمى بها الردى   مغاربها فوتَ العيون الروامق

ويقول بعد توجع كثير :

لِتبك أبا الفتح العيونُ بدمعها   وألسُنُنا من بعدها بالمناطق

إذا هبّ من تلك الغليلُ بدامع   تسرَّع من هذى الغرامُ بناطق

شقيق إذا التاث الشقيق وأعرضت   خلائق قومى جانبا عن خلائق

كتبه

لقد خلّف كتبا حسانا تدل على فضله الجمّ وعلمه الغزير . وقد تخيّر لها أسماء حسانا كذلك ، حتى ليقال إن الشيخ أبا إسحق الشيرازىّ المتوفّى سنة ٤٧٦ وأستاذ المدرسة النظامية قد سمّى[2] بعض كتبه بأسماء كتب لابن جنىّ . وذلك أن لأبى إسحق المهذّب والتنبيه فى الفقه (فقه الشافعية) ، واللمع والتبصرة فى أصول الفقه . وهذه أسماء لكتب لابن جنىّ ، كما سيأتى إيراده .

ولقد كتب ابن جنى إجازة[3] بكتبه لبعض الآخذين عنه فى سنة ٣٨٤ ، أى قبل موته بنحو ثمانى سنوات . وذكر فيها ما يأتى :

---

(١) الأصادق جمع الصديق ، وهذا جمع سماعى . وكأنه جمع أصدق فى معنى صديق .

(٢) انظر ابن خلكان فى ترجمة أبى الفتح .

(٣) أثبتها ياقوت فى معجم الأدباء .

(١) "الخصائص". وسأفرد لها بحثا عقب هذا المقال.

(٢) "التمام". وهو تفسير ما أغفله السكّرى من أشعار الهذليين. ويبلغ — على حسب ما يذكر المؤلف أن حجمه خمسمائة ورقة — نحو نصف الخصائص. وشرح السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ طبع فى أوربة. وجاء ذكر هذا الكتاب بعنوان «كتابنا فى شعر هذيل» فى الخصائص ١ / ١٢٤، وبعنوان «كتابى فى ديوان هذيل» فيها ١ / ١٥١. وجاء ذكره بعنوان «التمام» فى الخزانة ٣ / ١٥٣. ولم أقف عليه فى كشف الظنون. ولا يعلم له وجود فى مكتبات العالم.

(٣) "سر الصناعة". وهذا الكتاب نسخه الخطّية كثيرة. ويقوم بعض الأساتذة بتحقيقه وتهيئته للطبع. وقد أورده صاحب كشف الظنون، وذكر أن عليه حاشية لأبى العباس أحمد بن محمد الإشبيلىّ المعروف بابن الحاجّ المتوفى سنة ٦٤٧.

(٤) "تفسير تصريف المازنىّ". ويسمى «المنصف» وفى الخزانة ١ / ٥٠٥ «قال ابن جنىّ فى المنصف، وهو شرح تصريف المازنىّ» وقد عرض لهذا الكتاب صاحب كشف الظنون تحت اسم «تصريف المازنىّ» فقد قال: «وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنى» وقد يحرف «المنصف» إلى المتصف، أو المصنف. وقد يظنّ أنه كتاب آخر غير شرح تصريف المازنىّ. والمنصف — كسرّ الصناعة — كثير النسخ المخطوطة، ويعمل بعض الفضلاء على طبعه.

(٥) " شرح مستغلق أبيات الحماسة، واشتقاق أسماء شعرائها " . يبدو أن هذا كان كتابا واحدا ، ثم جعله بعد كتابين : الأول التنبيه على مشكل أبيات الحماسة . والآخر المبهج فى أسماء شعراء الحماسة . والأول يوجد منه نسخ خطّية . وجاء ذكره فى الخزانة ١/ ٢٩، ٩٧ باسم « إعراب الحماسة » . وقد طبع المبهج . ونقل عنه فى الخزانة ٢/ ٢٦٤ .

(٦) " شرح المقصور والممدود لابن السكيت " . ولم أقف على شيء يتعلّق به .

(٧) " تعاقب العربيّة" . يقول السيوطىّ فى الأشباه والنظائر النحوية ١/ ١٣٢ « وقد ألّف ابن جنىّ كتاب التعاقب فى أقسام البدل والمبدل منه، والعوض والمعوّض منه . وقال فى أوّله : اعلم أن كل واحد من ضربى التعاقب — وهما البدل والعِوَض — قد يقع فى الاستعمال موقع صاحبه . وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله ، إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض» وجاء ذكره فى الخصائص ١/ ٢٦٤ ، ٢٦٦ وفى الخزانة ٧/ ٢٠١ وأورده فى كشف الظنون .

(٨) " تفسير ديوان المتنبي الكبير " . ويسمّى الفَسْر . ويذكر المؤلف أنه ألف ورقة ونيّف ، فهو أكبر من الخصائص . ويذكر صاحب كشف الظنون أنه فى ثلاث مجلدات . ويذكر بركلمان أنه يوجد الثانى منه فى الإسكريال، وأنه يوجد منه نسخة فى المتحف الأسيوى فى بطرسبرج . ولأبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على هذا الكتاب باسم : « قشر الفسر » السابق ذكره .

(٩) " تفسير معانى ديوان المتنبى " . وهو شرح ديوان المتنبى الصغير . و يوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب .

(١٠) " اللمع فى العربيـة " . يقول عنه فى كشف الظنـون : « جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسىّ » منه نسخ خطيه بدار الكتب وهذا الكتاب عليه شروح كثيرة . يوجد معظمها فى المكتبات مخطوطا .

(١١) " كتاب مختصر التصريف " . و يبدو أنه هو المعروف بالتصريف الملوكىّ ، وقد طبع . وعليه شرح لابن يعيش . و يوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب .

(١٢) " كتاب مختصر العروض والقـوافى " . ذكر بركلمان كتابين : الأوّل مختصر العروض ، و يقـول : إنه يوجد فى مكتبة برلين وفى المتحف البريطانى ، وفى ليدن . والثانى مختصر القوافى ، وقال : إنه فى الإسكريال . وكأنهما الكتاب السابق جُعِلا كتابين فيما بعد .

(١٣) " كتاب الألفاظ المهمـوزة " . ذكر بركلمان من كتبه « ما يحتـاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود ، وعقود الهمز وخواصّ أمثلة الفعل ، وقال إن هذين الكتابين طبعا مع المقتضب .

(١٤) " كتاب المقتضب " . وهو فى اسم المفعول المعتـل العين من الثـلاثىّ . وقد طبع هذا الكتاب فى ليبزج وفى القاهرة مع الكتابين السابقين .

(١٥) " تفسـير المذكّر والمؤنث ليعقوب " . ويذكر ابن جـنى فى إجازته أنه لم يكن أتمه .

(١٦) " كتاب تأبيد تذكرة أبى علىّ " . ويبدو أنه فقد فلا أثر له .

(١٧) " المحاسن فى العربيــة " . يذكر المؤلف حين كتب الإجازة أنه فقد منه، وأن الحوادث أزالت يده عنه . وقد أورده فى كشف الظنون .

(١٨) " النوادر الممتعــة " . يذكر المؤلف فى إجازته أنه فقــد منه أيضا . وقــد جاء ذكره فى الخصائص ٣٨٢/١ .

(١٩) " الخاطريات " . ويذكره المــؤلف هكذا : « ما أحضرنيــه الخاطر من المسائل المنشــورة ، مما أمللتــه أو حصل فى آخر تعاليــق عن نفسى ، وغير ذلك مما هــذه حاله وصورته » وقد نقل عنه فى الخزانة ٤٧٠/٢ ، ١٠/٤ . وورد فى كشف الظنون تحت اسم « الخاطرات » .

وهــذه هى الكتب التى وردت فى الإجازة . وأورد ياقوت كتبا أخرى ويبدو أنه ألفها بعد الإجازة . وها كها .

(٢٠) " كتاب المحتسب فى شرح شــواذ القراءات " . ومنه مخطــوطات كثيرة فى مكتبات العالم .

(٢١) " تفسير أرجوزة أبى نواس " . ويبدو أنها أرجوزته فى الطرد .

(٢٢) " تفسير العلويات " . ويقــول ياقوت : « وهى أربع قصائد للشريف الرضىّ ، كل واحدة فى مجــلد . وهى قصيدة رثى بهــا أبا طاهر إبراهــيم ابن ناصر الدولة أوّلها :

ألْــقِ الرماح ربيعــة بن نزار　　　أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التى رثى بها الصاحب بن عبّاد، وأوّلها :

أكذا المنــون تقطّر الأبطالا !　　　أكذا الزمان يضعضع الأجيالا !

وقصيدته التى رثى بها الصابى أولها :

أعلمت من حملوا على الأعواد! أرأيت كيف خبا زناد الوادى!

ولا يذكر ياقوت القصيدة الرابعة . وفى فهرست ابن النديم ١٢٨ : « كتاب تفسير المراثى الثلاث ، والقصيدة الرائية للشريف الرضى » ويبدو أن المراثى الثلاث هنّ ما ذكر ياقوت فيما سلف ، وأما الرائية فيبقى البحث عنها .

(٢٣) " كتاب البشرى والظفر " . يقول ياقوت : « صنعه لعضد الدولة — ومقداره خمسون ورقة — فى تفسير بيت من شعر عضد الدولة :

أهلا وسهلا بذى البشرى ونوبتها وباشتمال سرايانا على الظفر

(٢٤) " رسالة فى مدّ الأصوات ومقادير المدّات " . يقول ياقوت : « كتبها إلى أبى إسحق إبراهيم بن أحمد الطبرى ، مقدارها ست عشرة ورقة ، بخط ولده عال » .

(٢٥) " كتاب المذكّر والمؤنث " . يذكر بركلمان أنه نشر فى مجلة الشرق الأوسط ج ٨ ص ١٩٣ — ٢٠٢ . وهذا غير الكتاب السالف الذكر : « تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب » .

(٢٦) " كتاب المنتصف " . ويبدو أن هذا تحريف عن « المنصف » وهو شرح تصريف المازنى كما سبق الكلام عليه : وقد وقع فى هذا الخطأ — فيما أحسب — صاحب كشف الظنون ، وهو عند ابن خلكان : « المصنف » .

(٢٧) " كتاب مقدمات أبواب التصريف " . والراجح أن هذا هو مختصر التصريف الذى سبق الكلام عليه واستظهار أنه التصريف الملوكى .

(٢٨) " كتاب النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبي وتخطئته " . وابن وكيع هو أبو محمد الحسن بن علىّ التنّيسىّ الشاعر المشهور . ذكره ابن خلكان ، وذكر أن له كتابا بيّن فيه سرقات المتنبى ، سمّاه المنصف . و يبدو أن كتاب النقض لابن جنى فى نقد كتاب السرقات هذا .

(٢٩) " المُعْرِب فى شرح القوافى " . وقد يصحّف فى بعض المواطن بالمغرب . وهو تفسير قوافى أبى الحسن الأخفش . وجاء ذكره فى الخصائص ١/٨٤ ، وكذا فى « باب فى اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فى الحروف والحركات والسكون » ، وفى الخزانة ٢/٣٣١ ، وفى المخصص ١/١٣ .

(٣٠) " كتاب الفصل بين الكلام الخاصّ والكلام العامّ " .

(٣١) " كتاب الوقف والابتداء " . ويبدو أنه فى أحكام الوقف والابتداء النحوية ، وليس فى أحوال الوقف والابتداء القرآنيّة . كما يشتهر فيه هذان الاسمان ، كالوقف والابتداء لابن الأنبارىّ وغيره .

(٣٢) " كتاب المعانى المحرَّرة " .

(٣٣) " كتاب الفرق " .

(٣٤) " كتاب الفائق " .

(٣٥) " كتاب الخطيب " . و يبدو أنه جمعه للخطب المنبرية وغيرها . وقد أورد ياقوت فى ترجمته خطبة نكاح .

(٣٦) " كتاب الأراجيز " .

(٣٧) " كتاب ذى القد " . وورد ذكره فى الخزانة ٢ / ١٢٩ ، وفى هامشها : « جمعه من كلام شيخه أبى علىّ الفارسىّ . من هامش الأصل » . ويبدو

أن (ذا) فى (ذى القـد) بمعنى صاحب فمن ثم جاءت الياء فى عنوان الكتاب لوقوعها مجرورة . ويؤيد هـذا ماجاء فى شرح شواهد الشافية للبغـدادى ١٠٣ « وقال السيوطى فى شرح أبيات المغنى : ونقل ابن جنىّ فى ذى القدّ عن أبى على ... » ويعارض هذا ما جاء فى مقـدّمة الإتقان فى عدّ الكتب التى اعتمد عليها : « وذا القدّ » وهو مرفوع فى كلامه . وكذلك فى الخزانة فى الموطن السابق : « وهذا البيت نسبه ابن جنّى فى كتاب ذا القدّ لبعض العرب » ومقتضى هذا أن (ذا) اسم إشارة . وفى التصريح شرح التوضيح فى مبحث ألف التأنيث : « وحلكى — بالحاء المهملة — لدويبّـة . قال أبو على الفارسىّ : هى مقصورة . حكاه عنه ابن جنى فى القدّ » .

(٣٨) " شرح الفصيح " . والفصيح لثعلب . وذكر فى كشف الظنـون تحت اسم : « الفصيح » من شروحه شرح ابن جنى .

(٣٩) " كتاب شرح الكافى فى القوافى " . فى كشف الظنون : « كافى فى شرح القوافى للأخفش لابن جنى » ويبدو أنه شرح آخر غير المُعْرِب الذى سبق الكلام عليه .

ومما لم يذكره ياقوت ما يلى :

(٤٠) "التلقين فى النحو" . ذكره الخطيب البغدادىّ فى تاريخ بغداد ٣١١/١١، وابن خلكان .

(٤١) " التذكرة الأصبهانية " ذكره ابن خلكان .

(٤٢) " التهذيب " . وهو تهذيب تذكرة أبى علىّ . عن ابن خلكان .

(٤٣) " المهذّب " . ذكره ابن خلكان .

(٤٤) " التبصرة " . ذكره ابن خلكان .

(٤٥) " كتاب الزجر " . يقول فى الخصائص فى آخر « باب فى هذه اللغة أفى وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط » : « وقد كنت حضرتنى وقتا فيه نَشْطة ، فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف فى كتاب ثابت فى الزجر » .

(٤٦) " مسألتان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن الشيبانىّ " . ذكره بركلمان ، وقال : إنه يوجد فى الفاتيكان .

(٤٧) " علل التثنية " . ذكره بركلمان ، وقال : إنه يوجد فى ليدن .

(٤٨) " المسائل الواسطية " . فى ياقوت فى ترجمة على بن عيسى الربعى : « حكى أبو غالب بن بشران النحوى الواسطىّ قال : ورد أبو الفتح بن جنى عثمان إلى واسط ، ونزل فى دار الشريف أبى علىّ الجوّانى نقيب العلويين ، وكنا نتردّد إليه ونسأله ، ويملى علينا مسائل سماها الواسطية » .

(٤٩) " كتاب شرح الإبدال ليعقوب " . يقول فى الخصائص فى « باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » : « ونحن نعتقد إن أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال » .

وفى ختام سرد كتب ابن جنى أذكر أن بعض الكاتبين لحياته ذكر له كتاب مفردات القرّاء السبعة . وهذا الكتاب ليس لابن جنى ، وإنما هو لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانىّ . وقد جاء الاشتباه من توافقهما فى الاسم « عثمان » .

يقـدم ابن جنىّ الخصائص إلى بهـاء الدولة الذى تولى الملك فى بغـداد مع الخضوع للخليفة العباسىّ سنة ٣٧٩ إلى سنة ٤٠٣ هـ . وذلك إذ يقول فى ديباجة الكتاب : « هذا — أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيّد بهاء الدّولة وضياء المـلّة ، وغيـاث الأمة ، وأدام ملكه ونصره ، وسلطانه ومجده ، وتأييده وسموّه ، وكبت شانئه وعدوّه — كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ... » ويبين من هذا أنه ألّف الخصائص بعـد أستاذه أبى علىّ ، الذى كانت وفاته سـنة ٣٧٧ ، وتراه يقول فى الخصائص فى مبحث الاشـتقاق الأكبر : « غير أن أبا علىّ — رحمه الله — كان يستعين به ... » .

وهو يذكر شرح تصريف المـازنىّ فى الخصائص ١ / ٣٦٩ . وعلى هذا فهذا الكتاب سابق فى التأليف على الخصائص .

ويذكر أيضا سرّ الصناعة فى الخصائص ، فى « باب فى العربىّ يسمع لغة غيره » وفى « باب فى الحرفين المتقارِبين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » وعلى هذا فقد ألّف الخصائص بعد سرّ الصناعة . ولكنه فى سرّ الصناعة فى المقدّمة فى الكلام على مرتبة الحركة من الحرف يقول : « وقد ذكرنا فى كتاب الخصائص فيما بعد فساد هذا القول من أبى علىّ رضى الله عنه » ومقتضى هذا تقدّم الخصائص على سرّ الصناعة . والذى يبدو لتفسير هـذا التدافع أنه ألّف الكتابين ووضع نظامهما أوّلا فى وقت مبكّر ، ثم كان يزيد فيهما ، فقد يلحق بأحد الكتابين شيئا ، ثم يحيل فى الآخر عليه .

وقـد اختصر الخصائص ابن الحـاجّ الأندلسىّ أحمد بن محمد الإشبيلىّ ، كما فى البغيـة ١٥٦ ، وكشف الظنون تحت اسم الخصائص . ويذكر ابن الطيب

فى شرحه للاقتراح ٣٥ من النسخة التيمورية أن لابن الحاج هذا إملاء على الخصائص، ومعنى هذا أن له حاشية عليها، فهل هذا غير مختصر الخصائص ، أم هذا وهم منه . ويذكر صاحب كشف الظنون أن لموفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى حاشية على الخصائص .

النسخ التى اعتمد عليها فى طبع الكتاب

(١) نسخة فى مجلدين فيهما نحو نصف الكتاب . ينتهى الجزء الأول بآخر « باب فى نقض المراتب إذا عَرَض هناك عارض» ويبتدئ الجزء الثانى بـ« باب من غلبة الفروع للأصول» وينتهى بآخر « باب فى ورود الوفاق مع وجوب الخلاف» . وفى آخر الجزء الأول : « وكَتَب الحسن بن الفرج بن إبراهيم بمصر فى ربيع الآخر سنة ثلاثين وأربعمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفى آخر الجزء الثانى : « وكَتَب الحسن بن الفرج بن إبراهيم بمصر فى شهر جمادى الأول (كذا) سنة ثلاثين وأربعمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وهذه النسخة مضبوطة بالشكل الكامل . وهى أصحّ النسخ . وقد كانت فى خزانة المدرسة الحنفية التى أوقفها صرغتمش ، وتعرف بجامع صرغتمش بجوار جامع ابن طولون . وهى فى مكتبة الدار تحت رقم ١١٠ نحو . وقد رمزت لها فى هذه الطبعة بالحرف ا .

(٢) نسخة فى مجلد واحد فيه أيضا نحو نصف الكتاب وينتهى هذا الجزء بآخر «باب فى خلع الأدلة» ولم يذكر فى هذه النسخة تاريخ كتابتها ولا اسم الكاتب . وقد كانت فى خزانة كتب جامع محمد بك أبى الذهب . ويغلب فيها الضبط وهى فى مكتبة الدار تحت رقم ١٠٩ نحو . ويرمز لها بالحرف ب .

(٣) نسخة الشنقيطي. وهي في مجلدين بخطين مختلفين، وتكمل فيها الخصائص، وهي خالية من الضبط . والجزء الثاني بخط عليّ بن محمد بن مصطفى الشهير بابن رجب الترجمان الجزائريّ المنشأ المدنيّ الدار، أتمه كتابة سنة ١٢٩٩ هـ وهذه النسخة تحمل رقم ٥ ش نحو . وقد رمز لها بالحرف ش.

(٤) نسخة مصوّرة عن نسخة كتبها عليّ نجل منلا حسين سنة ١٣٢٥ هـ وذكر الكاتب أنه نقلها عن نسخة قديمة كتبت بمكّة المشرفة سنة ٥٧٩ . وقد رمزت لها بالحرف ج . وهذه النسخة تختلف عن النسخ الأخرى اختلافا كثيرا، ففيها اختصار وطرح لكثير من الشواهد التي في غيرها، فهي نسخة فريدة في بابها .

والناظر في هذه النسخة إذا قرنها بغيرها يتردّد بين احتمالين :

الاحتمال الأوّل أن هذا هو أصل الخصائص، أي هو النسخة التي كتبها المؤلف في أوّل الأمر، ثم زاد عليها فيما بعد فاستقرّت في النسخ الأخرى .

على أن هناك أشياء تصدّ عن هذا الاحتمال .

(١) ففي " باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة " يقول : فأمّا قوله — سبحانه — : وفوق كل ذي علم عليم لحقيقة لا مجاز . وذلك أنه — سبحانه — ليس عالما بعلم، فهو إذًا العليم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين، ولذلك لم يقل : وفوق كل عالم عليم؛ لأنه — عز اسمه — عالم، ولا عالم فوقه » وحاصل هذا أن قوله تعالى : وفوق كل ذي علم عليم عند المعتزلة — ومنهم ابن جني كما سلف لك — لا يدخل في (ذي علم) الله سبحانه وتعالى؛ فإنه عندهم عالم بذاته، لا بعلم زائد على ذاته، كما يقول أهل السنة . وعلى ذلك فالآية على عمومها ليست في حاجة إلى التخصيص . فأمّا

عند أهل السنة فذو العلم يشمل الله سبحانه ، فيجب عندهم تخصيص ذى العلم بغير الله سبحانه . فقوله : وفوق كل ذى علم أى غير الله ، فإن الله سبحانه لا عليم فوقه ، والتخصيص والتقييد ضرب من المجاز . وفى نسخة حـ التى أتحدث عنها ص ٢١٠ : « ومثله — عندنا — وفوق كل ذى علم عليم ، وليس كذلك عند الشيخ » وهذا يقضى بأن الكاتب غير ابن جنى .

(ب) وفى « باب فى إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد » ص ٢١٣ فى النسخة المختصرة : « قال الشيخ : وسألت الشجرى يوما : كيف تجمع المحرنجم ...» وهو يريد بالشيخ ابن جنى .

(حـ) وفى ص ٢١٦ من النسخة المختصرة : «وكل أفعال جمع إلا ستة عشر اسما . وهى ثوب أسمال وأخلاق ، وأرض أحصاب : ذات حصى ، وبلد أمحال : قحط ، وماء أسدام : متغير من القدم ، وأحد عشر قد ذكرها إلى ، وهى جفنة أكسار ... » .

(د) وفى ص ١٥٨ « باب فى التطوع بما لا يلزم » : « ذكر فى هذا الباب أشعارا التزم قائلوها من الحروف والإعراب ما لا يلزمهم ، وذكر أن ذلك مما يدل على قوة الشاعر وسعة ما عنده » .

(هـ) وفى ص ١٦٨ بعد أن ساق كلام ابن جنى : « قلت أنا : وكذلك التنوين ثابت فى الوصل ... » فهذا تعقيب على كلام ابن جنى .

(و) وفى ص ٢٨٦ بعد أن ساق كلاما لابن جنى فى تفسير قوله : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا : « قلت : هذا مبنى على أصلهم الفاسد » .

والاحتمال الثانى أن هذه النسخة مختصر الخصائص . ويسوق هذا الاحتمال إلى السؤال عن صاحب هذا الاختصار .

فالمعروف أن الذى اختصره هو ابن الحاجّ أحمد بن محمد الإشبيلىّ . وهذا كانت وفاته على حسب ما فى البغيـة ١٥٦ سنة ٦٤٧ أو سنة ٦٥١ . وقد سبق أن هذه النسخة نقلت عن نسخة كتبت بمكّة سنة ٥٧٩ أى قبل وفاته بنحو ثمان وستين سنة . ويبعد مع هذا جدّا أن تكون من اختصاره .

وأقرب ما يخطر بالبال أن تكون هذه النسخة أصل الخصائص، وأن بعض أصحاب المؤلف كتبها عن المؤلف ، فهو لذلك يعـبّر عنه حينا بالشيخ يريد شيخه، ويقول فى النصّ السابق : « وأحد عشر قـد ذكرها إلىّ » ، وقد يعقّب عليه فيما يخالفه فيه .

(٤) نسـخة مصوّرة عن مخطوطة فى القسطنطينية ، وهى فى مكتبة جامعة فؤاد الأوّل تحت رقم ٢٢٩٧٨ ويرمز لها بالحرف د

(٥) نسـخة مصوّرة أيضا عن مخطوطة فى القسطنطينية ، فى مكتبة جامعة فؤاد الأوّل تحت رقم ٢٢٩٧٩ ويرمز لها بالحرف هـ

وهاتان النسختان تكمل فيهما الخصـائص .

وإنى لأقدم شكرى لدار الكتب المصرية، أن وثقت بى ، فندبتنى لهذا العمل وأعانت على إخراج الكتاب فى هذا المظهر الجميل ، وهى أهل لكل ثناء وتمجيد . ولن أنسى ماحييت فضل الأستاذ الجليل أبى الفضل إبراهيم مدير القسم الأدبى، فقد كان له القسط الأوفى فى هذا الشأن . كما أسجل للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم المدير العام للدار رعايته للآداب العربيـة وتشجيعه لنشر نفائس الكتب وذخائر المخطوطات . والله المسئول أن يتولى عنى جزاءهما ومثوبتهما .

وإنى أختم هذه المقدّمة، حامدا لله، ومصليا ومسلما على رسوله، وصحابته أجمعين.

٩ من المحرم سنة ١٣٧٢
٢٩ من سبتمبر سنة ١٩٥٢

محمد على النجار